وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

الموضوع:

الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية خلال القرن (11-13 ه/17-19م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر.

إعداد الطالبتين:

- أنيسة عيسى الديلمي.
- عبير غرابية

إشراف الدكتور:

- بشير مديني

السنة الجامعية:1438-1439ه/2017 - 2018

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ هود: ٨٨

❖ نشكر الله رب العالمين الذي خلق وهدى وسدد الخطى، فأنجزنا هذا العمل بعونه وتوفيقه، نحمده حمدا كثيرا في المبتدى والمنتهى.

❖ قال صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل".

❖ فتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور بشير مديني الذي نكن له كل التقدير والاحترام الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة.

❖ كما نخص بالذكر الأستاذ حميد قريتلي فنتقدم له بالشكر الجزيل وعرفان الجميل ،لأنه كان عونا لنا طيلة فترة انجاز المذكرة، ولم يبخل علينا لا من وقته ولا من معلوماته وتوجيهاته.

❖ نرفع كلمة شكر إلى كل أساتذة التاريخ الحديث والمعاصر الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم وإرشاداتهم.

❖ نشكر كل من مد لنا يد العون من بعيد أو من قريب.

❖ كما نتوجه بالشكر إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية.

لكم منا جزيل الشكر.

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على صاحب الشفاعة سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الميامين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

❖ إلى اللذين اشترط الله مرضاته برضاهما، وأودع الحب والرحمة في قلبيهما.

إلى من لو تدّخر نفسا في تربيتي – أمي الحنون.

إلى من انشقت يداه في سبيل رعايتي – أبي الصبور.

❖ إلى أجمل هدية قدماها لي، أخواتي العزيزات، وإخوتي الأعزاء، خاصة الصغيرة وئام.

❖ إلى من اقتسم معي عناء البحث ماديا ومعنويا، شكرا وألف شكر، رغم أن كلمة شكرا لا تكفي.

❖ إلى كل الأهل والأقارب.

❖ إلى كل الصديقات والزميلات .

❖ إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا الفانية، وكل من ساعدني في انجاز هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة.

❖ إلى كل فاه وقلب دعا لي دعوة نجاح، والى كل من يعرف أنيسة عيسى الديلمي.

❖ إلى كل هؤلاء وهؤلاء اهدي هذا العمل المتواضع.

أنيسـة

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

كلمة لابد منها هي كلمة ...شكر الله عز وجل ،الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة على أحسن الأحوال.

- ❖ إلى التي أوصى بها نبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا ،إلى المنبع الفياض بحنانه ،نبع المحبة والحنان والصبر والإقدام، والدتي أم لخير الكريمة حفظها الله.
- ❖ إلى مثلي الأعلى في التضحية والعطاء إلى الذي دفعني إلى معترك الحياة بثقة واعتزاز، والدي الكريم بن زاوي حفظه الله.
- ❖ إلى أجدادي حفظهم الله
- ❖ إلى روح جدي اسكنه الله فسيح جنانه
- ❖ إلى من كان قدوتي في الصبر والمثابرة و الاجتهاد ... زوجي الحبيب أحمد
- ❖ إلى شقيقي أمحمد وشقيقتي رانيا
- ❖ إلى كل عائلة غرابية وبلي
- ❖ إلى بانت أخوالي وأعمامي كل باسمه
- ❖ إلى قريبتي وشقيقتي ورفيقة دربي الغالية سمية
- ❖ إلى بهاء الدين شفاه الله
- ❖ إلى كل من عائلة مراكشي وبن سعدة
- ❖ إلى صديقاتي الحبيبات وزملائي الأعزاء سعاد أحلام سارة خديجة خليدة أمال أنيسة خولة فتيحة و صليحة وكل من أحبني في الله .
- ❖ أهدي ثمرة جهدي .

عبـــير

قائمة المختصرات

بالغة العربية :

ط	طبعة
ج	ج
مج	مجلد
تح	تحقيق
تر	ترجمة
مر	مراجعة
م	مجلة
ع	عدد
دط	دون طبعة
د د ن	دون دار نشر
د ب ن	دون بلد نشر
د س	دون سنة

بالغة الأجنبية:

P	**Page**
T	**Traduire**
Ed	**Edition**
S é	**Son édition**
S d	**Son date**

مقدمة

شهد القرن السابع عشر بداية مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العثمانية، حيث أجمع أغلب المؤرخين على أنه بداية لعصر الضعف والانحطاط بعد عصر قوة وازدهار، وبطبيعة الحال هذا مآل جميع الحضارات، وذلك لعدة أسباب من بينها سياسة الحاكمين، فبدأ الضعف يدب إلى الدولة العثمانية بعد منح الامتيازات للدول الأجنبية التي كانت السبب الرئيسي في هذا التقهقر و التي ساعدت على تغلغل الجاليات الأجنبية،هذه الأخيرة قسمتها الدولة العثمانية حسب نظام الملل إلى طائفتين، اليهودية والمسيحية واللتين لعبتا دورا مهما في سياسة الدولة العثمانية وتوجهاتها، خصوصا بعد تغيير سياسة الدولة، من سياسة تسامح ديني إلى سياسة امتيازات و لقد برزت الجاليات في جميع الميادين خصوصا بعد الامتيازات التي منحت لفرنسا عام في القرن السادس عشر، وتعاقبت الدول الأجنبية مستغلة الطوائف لتأخذ نصيبها من الدولة العثمانية، فالجاليات الأجنبية إذن هي محور حديثنا.

دواعي اختيار الموضوع:

ارتبط اختيار الموضوع بدوافع ذاتية وموضوعية، تمثل الدافع الموضوعي في محاولة الكشف عن حقيقة التواجد الأجنبي في الدولة العثمانية، إضافة إلى البحث في أهم مخططاته، هذه الأخيرة ترجع في أصولها إلى فترة الحروب الصليبية ، التي سعت من خلالها الدول الأوروبية إلى استغلال كل إمكانياتها بهدف القضاء على الوجود الإسلامي، أما الدوافع الذاتية، فهو محاولة لفهم طبيعة العلاقات الأوروبية الإسلامية في الفترة الحديثة التي عرفت الدولة العثمانية خلالها توسعا أكثر.

أهمية الدراسة:

إن لدراسة موضوع الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية في فترة ضعفها، يكتسي أهمية بالغة لكونه يمثل مرحلة هامة من تاريخ الدولة العثمانية، من عدة نواحي اقتصاديا بالدرجة الدرجة الأولى خصوصا في بلاد الشام وفكريا وهو ما لا يقل أهمية عن الأول، فأراد الغرب أن ينشر التعاليم المسيحية بين صفوف المسلمين، وقد كان هذا الغرض من أهم أسباب الاستعمار الحديث، وسياسيا و الذي لعب التجار والقناصل، وبدرجة كبرى أهل الذمة فيه دور الوساطة بسب تقلدهم للمناصب الحساسة، إضافة إلى الجانب الاجتماعي الذي لا يمكن أن لا يترك أثرا من خلال عملية التغريب.

إضافة إلى الإطار المكاني الذي كان مركزا للتواجد الأجنبي، من الشام الذي كانت به طوائف متعددة إلى الآستانة عقر دار الخلافة العثمانية، فبالتالي تمكن التواجد الأجنبي من تطبيق مخططاته وتهجماته.

الإشكالية:

من خلال دراستنا لهذا الموضوع من تاريخ الدولة العثمانية ، نطرح إشكالية تتمحور حول تراجع قوة الخلافة العثمانية و بداية العد النهائي لتواجدها، وبالمقابل حول الأقليات الدينية التي تتواجد فيها، وتحولها إلى قوة سياسية تضرب عمر الخلافة وتجعله رهينة بين يديها؟ وعليه تكون التساؤلات كالتالي: ما هي أهم الظروف التي برزت فيها ؟ وما علاقة الأقليات الدينية بالدول الأوروبية ؟ وما هو الدور الذي لعبته في المجالات المختلفة و التداعيات التي ترتبت عن ذلك ؟ وما موقف العلماء من الفكر الأجنبي؟ .

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في الموضوع تم العثور على مجموعة من الدراسات السابقة حول الجاليات الأجنبية في الدول العثمانية ومنها من كانت شاملة للموضوع نوردها في ما يلي:

1- ليلى الصباغ، **الجاليات الأوروبية في بلاد الشام خلال العهد العثماني في القرنيين السادس عشر والسابع عشر ميلادي، العاشر والحادي عشر الهجريين**، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه في جزأين، تطرقت فيها إلى الأوضاع العامة للجاليات الأوروبية و سياسة الدولة العثمانية تجاهها، وأهم نتائج التواجد الأجنبي في الدولة العثمانية من سلبيات وايجابيات .

2-صالح احمد هريدي علي، **الجاليات الأجنبية في الإسكندرية**، وهي عبارة عن دراسة وثائقية من سجل المحكمة الشرعية خلال الفترة الزمنية (923-1213هـ/1517-1798م)، وتضمنت الجانب الاجتماعي و الاقتصادي للجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية.

وهناك دراسات أخرى تتمحور حول الامتيازات التي لها صلة وثيقة بالتواجد الأجنبي أهمها:

ياسر بن عبد العزيز قاري، **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية**، وهي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه،في جزئيين ،أبرز فيها أهم المعاهدات العثمانية الأوروبية ، حيث أعتبرها السبب الرئيسي في ضعف الدولة العثمانية بذكر نتائجها، وأهمها أنها كانت السبب الرئيسي في ضعف الدولة العثمانية من خلال تغلغل الأجنبي ،واستغلاله لتلك الامتيازات.

التعريف بأهم المراجع العربية:

و من أهم المراجع التي تم الاعتماد عليها في الموضوع، يمكن أن نذكر :

1- قيس جواد العزاوي، لمؤلفه،**الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط**، حيث كتابه ابرز أسباب سقوط الخلافة العثمانية ، من الامتيازات العثمانية الأجنبية ،و تواجد، الأجانب في الدولة العثمانية، مخصصا لهذا الأخير الفصل الثالث تحت عنوان الوصاية الغربية على الأقليات الغربية.

2- أكمل الدين إحسان اوغلي، وله كتاب **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** ،في جزئيين متحدثا عن الدولة العثمانية في شتى المجالات والذي اعتمدنا منه في رسالتنا الجزء الأول و بالتحديد الفصل السادس من الباب الخامس الذي تحدث عن أهل الذمة و تقسيماتهم في الدولة لعثمانية.

3- ماجد بن صالح المضيان، **أثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الدولة العثمانية في الفترة من** (926-1343هـ/1520-1924م) وهي مذكرة لنيل شهادة الماجستير، التي شملت أهم نشاطات أهل الذمة و انعكاساتها.

المنهج المتبع في الدراسة:

من أجل دراسة هذا الموضوع، اعتمدنا على المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الوصفي، وذلك من خلال تتبع تاريخ الجاليات في الدولة العثمانية، وتحليل السندات والوثائق للامتيازات الأجنبية التي انتقيناها لتكون موضحة للأسباب و مبرزة للبنود التي تساعد على فهم العلاقة بين أهل الذمة أو الأقليات الدينية والدول الأوروبية.

الخطة المعتمدة:

لقد قسمنا موضوعنا على النحو التالي:

مقدمة، وتمهيد تضمن توسعات الدولة العثمانية في مختلف أقطار العالم الذي كان يضم بطبيعة الحال أجناسا مختلفة الأعراق والأديان،و ثلاثة مباحث، كل مبحث قسمناه إلى ثلاثة مطالب، فالمبحث الأول كان تحت عنوان أصول الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية، وكان مطلبه الأول يتناول مفهوم الجالية في الدولة العثمانية، والمطلب الثاني ابرز هذه الجاليات حسب التقسيم العثماني، أي نظام الملل، والمطلب الثالث جاء بعنوان عوامل تواجد الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية، والذي يمثل دور سياسة الدولة العثمانية في تثبيت أقدام الأجانب.

و المبحث الثاني، فكان عنوانه مظاهر نشاط الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية، فمطلبه الأول، تطرقنا فيه إلى النشاط الديني و الفكري وثاني مطلب تحدثنا فيه عن النشاط الاجتماعي و الاقتصادي نظرا لترابطهما، أما المطلب الثالث كان عنوانه النشاط الإداري والسياسي.

وآخر مبحث كان بعنوان التواجد الأجنبي بين الآثار السلبية والايجابية، وهو نتاج النشاط الأجنبي، فكان مطلبه الأول تحت عنوان الآثار الإيجابية للتواجد الأجنبي ، متمثلا في شتى المجالات والمطلب الثاني بعنوان الآثار السلبية للتواجد الأجنبي، أما المطلب الثالث فجاء بعنوان مواقف العلماء من الفكر الغربي، وفي الأخير خاتمة كانت حوصلة عن الجاليات الأجنبية ونشاطها وأثرها بين الايجابي والسلبي والذي يعد هذا الأخير الأكثر من سابقه، وللإيضاح أكثر اعتمدنا مجموعة من الملاحق التي ضمت وثائق الامتيازات المهمة، وجداول حول التعليم الأجنبي في الدولة العثمانية والنشاط الاقتصادي، وكذلك خريطة توضح أهم المعابد المخصصة لأهل الذمة في استانبول، ووثيقة المرسوم الصادر من لويس الرابع عشر لفرض الحماية على الموارنة.

صعوبات البحث:

أثناء دراستنا لهذا الموضوع، واجهنا عدة صعوبات، من بينها طبيعة الموضوع الشاملة التي صعبت علينا كيفية طرحه، و ضيق الوقت فهو موضوع يتطلب بحوث ودراسات معمقة.

تمهيد

بسطت الدولة العثمانية سيطرتها على مساحات واسعة من العالم، غربا وشرقا، إذ امتدت غربا إلى دول البلقان واليونان ووصلت إلى مشارف فيينا عاصمة النمسا، و توقفت عند أسوارها بعد أن أخضعت جميع شعوب هذه المناطق لنفوذها، والحال نفسه ينطبق على الشرق، بدأت من السيطرة على العراق وبلاد الشام ومصر وسواحل البحر المتوسط وصولا إلى الحدود المغربية، وكان نفوذها على مناطق المشرق والجزيرة العربية واليمن بشكل مباشر، بينما حظيت دول المغرب بنوع من السيطرة ونوع من الحكم الذاتي.

فكانت الدولة العثمانية واحدة من ابرز القوى والإمبراطوريات في التاريخ الحديث دامت أكثر من سبعة قرون، وبامتدادها على مساحات واسعة كانت تضم بلدان بقوميات وثقافات وأعراقا وديانات مختلفة، عاشت كلها في ظل الدولة العثمانية بنوع من الحرية والتسامح وتكافؤ الفرص، وهذا يرجع إلى إدراك سلاطين الدولة العثمانية مبادئ الإسلام في الحرية والمساواة والعدل، فأصبحت مثلا للكيان الحي للدين الإسلامي، وبالتالي أصبح ينظر إلى الدولة العثمانية على أنها أنموذجا حضاريا في تعاملهم وسلوكهم، لا سيما مع الجاليات الأجنبية التي عانت الكثير من تسلط الكنيسة الأوروبية ورجال الدين المسيحيين ومن الأباطرة والملوك، أما في ظل الدولة العثمانية كان الأساس الذي يفصل بين الأجانب والدولة يقوم على مبدأ الحقوق والواجبات، وليس على أساس العرق أو القومية.

فتميزت الدولة العثمانية بنوع من التعامل الإنساني مع الجاليات الأجنبية, التي عاشت على أراضيها، فكان شانهم كبقية أفراد المجتمع التركي، مارسوا أعمالهم وحرية معتقدهم وامتهنوا جميع أنواع الأعمال والحرف، بل أصبحوا القوة الاقتصادية الكبيرة، وسيطروا على تجارة الكثير من السلع والبضائع واخذوا يتحكمون بمقدرات المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه، ولم يكن كل ذلك بعيدا عن أنظار الدولة العثمانية، ولكن سياسة التسامح الديني والتي تعتبر عامل من عوامل جلب الجاليات الأجنبية نحو الدولة العثمانية وفرت لهم الحرية في ممارسة أعمالهم، دون أن تقف الدولة العثمانية كعائق أمام ممارستهم لأنشطتهم، إضافة إلى سياسة الامتيازات الأجنبية التي اتبعتها الدولة العثمانية، إذ منحت تسهيلات للأجانب في أوج قوتها، لتصبح هذه الامتيازات بداية من القرن السابع عشر تعتبر من طرف الدول الأجنبية حقوقا مكتسبة لها.

نظمت الدولة العثمانية شؤون الطوائف المسيحية واليهودية بغض النظر عن الاختلافات المذهبية ،فنعمت في ظل هذه الدولة كل أنواع الأمان والرفاهية والمساواة لاسيما بعد الاصطلاحات التي اتخذتها الدولة

العثمانية في القرن السابع عشر (خط كلخانة 1839م والخط الهمايوني 1856م) فقد رفعوا هؤلاء الأجانب إلى درجة المساواة مع المسلمين.

ورغم كل هذه المعاملة الحسنة والتسامح الكبير الذي وصل إلى حد التساهل لم يشعروا أنهم جزء من المجتمع العثماني المسلم، بل كانوا يشعرون أنهم نسيج بمفرده، ولم يكتفي الأجانب بانعزالهم دينيا عن المجتمعات المسلمة التي يحيون فيها بل تمادوا فيها، فأصبحوا يحيكون فيها الدسائس وينقلون الأخبار ويتجسسون لصالح الأعداء، فهم مع كل حاقد على الإسلام، فهم دائما تحت أمر وخدمة وتصرف أعداء الإسلام، ولم يعلم منهم موقفا واحدا في نصرة الدين أو الدفاع عن مجتمعه المسلم الذي يعيشون بين أفراده.

وهذه الأقليات لم تنشط أو ترفع رأسا أو تحيك المؤامرات أو تتعاون مع أعداء الإسلام، إلا في الفترات التي تضعف فيها عقيدة الولاء عند المسلمين أنفسهم ويتساهلون مع الأقليات الأجنبية، ويرفعونهم إلى درجة المساواة، إذ شهد القرن السابع عشر أي بداية ضعف الدولة العثمانية انطلاق المحافل الماسونية والمدارس التبشيرية والإرساليات التنصيرية، وظهور الأفكار التحررية والعلمانية، وكل المتاعب والفتن التي تسبب فيها هؤلاء الأجانب للدولة العثمانية لم يكن لها أن تحدث لو أن سلاطين الدولة العثمانية ملتزمين بشريعتهم وبعقيدتهم النقية.

المبحث الأول: أصول الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية

المطلب الأول: مفهوم الجالية الأجنبية في الدولة العثمانية.

المطلب الثاني: طوائف الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية.

المطلب الثالث: عوامل تواجد الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية

المطلب الأول: مفهوم الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية.

قبل الخوض في موضوع تواجد الجالية الأجنبية في الدولة العثمانية كان لا بد أن نبحث في مفهوم الجالية في تاريخ الدولة العثمانية، ومن خلال هذا نجد أن مصطلح الجالية[1] ورد في بعض معاجم اللغة العربية التي تناولت هذا المصطلح مثل: "قاموس المحيط" و "لسان العرب".

إذ يقول صاحب "لسان العرب" أن لفظ الجالية أطلق على أهل الذمة[2] لأن "عمر بن الخطاب رضي الله عنه" أجلاهم عن جزيرة العرب لما تقدم من أمر "النبي صلى الله عليه وسلم" فيهم، فسموا جالية ولزمهم هذا الاسم أين ما حلوا، ثم لزم كل من لزمتهم الجزية[3] من أهل الكتاب بكل بلد، وان لم يجلوا عن أوطانهم[4].

---

[1] **الجالية**: اشتق لفظ جالية من فعل جلا.

جلا القوم عن أوطانهم يجلون واجلوا، إذ خرجوا من بلد إلى بلد، ويجلون عن الحوض أي ينفون ويطردون، ويقال: استعمل فلان على الجالية والجالة.

والجلاء ممدود: مصدر جلا عن وطنه، والجلاء: الخروج عن البلد. للمزيد انظر: ابن الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، **لسان العرب**، مج 14، دار المصادر، بيروت، ص، 149.

وجلا القوم عن الموضع، ومنه جلوا وجلاء.

واجلوا: تفرقوا، أو جلا: من الخوف، وأجلى: من الجدب، وجلاء الجدب وأجلاه واحتلاه.

واجلولى: خرج من بلد إلى بلد. للمزيد انظر: محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **قاموس المحيط**، ج4، دار الحديث، القاهرة، (1429هـ / 2000م)، ص، 290.

[2] **أهل الذمة**: الذمة تعني العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وأهل الذمة هم المعاهدون من اليهود والنصارى وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام، وسمي أهل الذمة ذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانتهم. انظر: الفيروز أبآدي، نفس المرجع، ص، 115.

[3] **الجزية**: الحوصلة، يقال: القه في جزيتك وهي الحوصلة، والجزية: ما يأخذ من أهل الذمة، وهي عبارة عن المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة، وهي من الجزاء، كأنها جزت عن قتله، وقيل أن الذمي إذا اسلم وكان في يده ارض صولح عليها بخراج، فترفع عنه جزية رأسه وتترك عليه أرضه يؤدي عنها الخراج. انظر: ابن الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، نفس المرجع، ص، 149.

ولم يكن يتعين في الجزية ذهب ولا فضة، وإنما يجوز أخذها مما تيسر من أموالهم من ثياب وسلاح وحديد ونحاس ومواشي وحبوب... للمزيد انظر: ابن قيم الجوزية: **أحكام أهل الذمة**، مج 1،حققه وعلق عليه، أبي براء يوسف بن احمد البكري، ط1، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، (1418هـ / 1997م)، ص، 129.

[4] ابن الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، نفس المرجع، ص، 149.

وبالتالي أهل الذمة هم أهل الكتاب أي أصحاب الكتب السماوية المنزلة كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم و زابور داوود، لذا يخاطب القرآن الكريم اليهود والنصارى بأهل الكتاب[1]،**قَالَ تَعَالَى:﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴾**[2]

والمعنى العام: فالجاليات الأجنبية هي الجماعات من غير العرب التي جلت عن أراضيها في أوروبا لتستقر على أراضي الدولة العثمانية وتعمل فيها.

والنزوح عن الأوطان، أي خروج أفراد أو جماعة من أوطانهم ليقيموا في بلاد أخرى، يكون إما لرغبة منبثقة عن ذواتهم كالرغبة في البحث عن العمل وهم المستأمنون[3].

ويكون النزوح لا إراديا، إذا فرضت السلطات الحاكمة هذا الأمر على بعض رعاياها، عقابا لهم أو لأنهم لا يمثلون سياستها أو لا يعتنقون دينها ومذهبها.

وتكون الهجرة أحيانا إرادية، إلا أنها تحدث تحت ضغط ظروف منفرة من الأوطان كالاضطهاد السياسي أو الديني[4].

---

[1] الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، تحقيق عبد الأمير علي مهنى و علي حسن فاعور، ط1، دار المعرفة، لبنان، 1993م، ص، 37.

[2] سورة الأنعام، الآية 156.

[3] **المستأمنون**: هم التجار الأجانب من غير المسلمين، سمح لهم بالإقامة في الإمبراطورية العثمانية، واعترفت بهم الدولة العثمانية كطوائف وملل مستقلة تطبق شرائعها الخاصة. أنظر: نجاة عبد الكريم، **وقفات مع محمد رشيد رضا (1860 – 1925م)**، ع 20، د م، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2011، ص، 20.

وهم الأشخاص الذين ليسوا من رعايا دولة الإسلام – أو دار الإسلام، والأجنبي الذي يقيم فيها بإذن لمدة معينة، وعلى الرغم من وجود تشابه كبير بين الأوضاع القانونية للمستأمنين في القوانين الإسلامية والعثمانية وبين أوضاع أهل الذمة، إلا أن هناك فروقا بسيطة في جوانب معينة حددوها بعض الفقهاء. للمزيد انظر: أكمل الدين إحسان أوغلى، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر، صالح سعداوي، مج 1، د ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية،استانبول، 1999م، ص، 505.

[4] ليلى الصباغ، **الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنيين السادس عشر والسابع عشر– العاشر والحادي عشر الهجريين**، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1409هـ/ 1989م)، ص ص، 17، 18.

وفي هذا السياق نتطرق إلى مصطلح الأقليات[1]، وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أن الكلمة تشير إلى النقص، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[2] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾[3]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[4].

وبالتالي فالأقلية من أهل الكتاب وفق المفهوم الإسلامي هي "أهل الذمة" فقد منحهم التشريع الإسلامي الحق في ممارسة حياتهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية، مكتفيا بأداء المكلفين منهم بالجزية مقابل توفير الحماية لهم[5].

[1] **الأقليات**: يطلق المصطلح على المجموعات البشرية التي تعيش في مجتمع تكون فيه أقلية من حيث العدد، وتكون مختصة منبين سائر أفراد المجتمع الآخرين ببعض الخصوصيات الجامعة بينها، كأن تكون أقلية عرقية أو لغوية أو ثقافية أو دينية، وبالتالي هي مجموعة من سكان إقليم أو دولة تختلف عن الأغلبية في الانتماء الإثني أو القومي أو المذهبي أو الديني. انظر: بان غانم احمد الصائغ، **سياسة بريطانيا تجاه النصارى واليهود فيالدولة العثمانية (1839 – 1914م)**، دراسة تاريخية، مجلة التربية والعلم، مج 19، ع5، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، 2012م، ص ص، 3، 4.

[2] سورة البقرة، الآية 249.

[3] سورة الشعراء، الآية 54.

[4] سورة سبأ، الآية 13.

[5] موفق بني المرجة، **صحوة الرجل المريض**، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1984م، ص، 176.

المطلب الثاني: طوائف الجالية الأجنبية

اتضحت سياسة الدولة العثمانية مع أتباع الرسالتين الأخرتين[1] من خلال نظام الملة[2].

وفيما يلي عرض لهذه الطوائف.

I –طوائف اليهود.

تمزق اليهود بشكل عام إلى فرق عديدة بلغت بشكل عام إحدى وسبعين فرقة، كل واحدة تضلل الأخرى وتدعي لنفسها أنها أكثر تمسكا بأصول الدين اليهودي، ودار الخلاف بين هذه الفرق حول الاعتراف بأسفار التوراة[3] (العهد القديم) والتلمود[4].

وكان اليهود ينقسمون إلى: طائفة اليهود القرائين، طائفة اليهود الربانيين، طائفة اليهود السامرة[5].

1: الربيون rabbinites: الذين سموا بالعبرية (ربانيم) وهم أناس اضطرتهم مهنتهم إلى الانزواء والاختفاء في

---

[1] فاطمة سليم حماد الطروانة، **الدولة العثمانية وسياستها الدينية تجاه الطوائف النصرانية في القدس وموقف فرنسا منها بخاصة من واقع سجلاتمحكمة القدس الشرعية (1153 – 1246هـ / 1740 – 1830م)**، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم التربوية، جامعة البتراء، عمان، (1430هـ – 2009م)، ص، 3.

[2] **نظام الملة**: نظام يقوم على تصنيف رعايا الدولة غير المسلمين تصنيفا لا يقوم على أساس الجنس أو القومية أو اللغة، بل على أساس المذهب الديني الذي يدين به هؤلاء الرعايا، وكان يطلق على كل مذهب ديني "ملة" وقد منح نظام الملل الرعايا غير المسلمين كيانا ذاتيا. أنظر: عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م، ص، 68.

[3] يوسف نعيسة، يهود دمشق، ط1، دار المعرفة، دمشق، (1408هـ – 1988م)، ص، 9.

[4] **التلمود**: كلمة اشتقت من المصدر العبري "لمد" ومنها "تلميذ" بمعنى "تلميذ" لأنه يعلم الفقه والدين وتفسير التوراة، والتلمود جزئين "المشاة" و "الجمارا"، وظل اليهود الربانيون يتناقلونه شفاها حتى عهد "يهود الناسى" الذي جمع المشاه وكتبها خوفا من النسيان والتعريف في ستة أسفار، والتلمود اثنان: أورشليمي نسبة إلى يهود فلسطين وهو الأقدم، وبابلي نسبة إلى يهود العراق. أنظر: قاسم عبده قاسم، **اليهود في مصر**، ط1، دار الشروق، مصر، (1413هـ / 1993م)، ص، 45.

[5] ماري دكران سركو، **دمشق فترة السلطان عبد الحميد (1293 – 1325هـ / 1876 – 1907م)**، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2010م، ص، 69.

غرف الدرس بعيدا عن عيون الناس كونهم ناقلين ودارسين ومفسرين[1]، ويعرفون بالناموسيين والربانيم والكتبة[2]. ويدعى الواحد منهم بالحبر أو الربي[3].

وكان هذا اللقب لقبا تكريميا وتفخيميا، ولم يصبح لقبا رسميا إلا بعد عصر المسيح بسنوات قلائل، وكان اليهود يستشيرونهم في كل أمورهم وكان رأيهم يمثل الحد الفاصل في النقاش حول أمور الحياة، كالزواج والطلاق وشؤون العبادة والصوم.....[4] وهم أشهر الطوائف عددا في التاريخ القديم والحديث.وإلى جانب "العهد القديم" بأسفاره، يؤمن جمهور اليهود الربانيين بما ورد في التلمود[5].

ويبدوا أن هؤلاء سيطروا على كل شيء في حياة اليهود وعزتهم الحياة وتكالبوا عليها، لهذا انذرهم السيد المسيح بالويلات بقوله: "ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة، وما دخلتم انتم والداخلون منعتموهم"[6].

وجاء في القرآن الكريم،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ

[1] يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص، 10.

[2] أكرم حسن العلبي، **يهود الشام في العهد العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية في مركز الوثائق (991 – 1336هـ / 1583 – 1909م)**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة التاريخية بدمشق، دمشق، 2011، ص، 11.

[3] **الربان أو الحبر**: يرأس قومه وتعهد إليه مقاليد الإشراف على شؤونهم، ولم يكن يلبس غير الأبيض من الثياب ولم يكن له يتقاضى مرتبا مقابل هذه الوظيفة، ولذا كان من حقه أن يرتزق بالتجارة أو غيرها، وكلمة "حبر" عبرية الأصل، وكانت في العصور الأولى تطلق على النخبة "الفروشيم" أي "المفروزين"، ثم صار كل معلم يحظى بلقب "حبر". أنظر: قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص، 10.

[4] يوسف نعيسة، نفس المرجع، ص، 10.

[5] قاسم عبده قاسم،نفس المرجع ، ص، 45.

[6] يوسف نعيسة، نفس المرجع ، ص، 10.

هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[1] .

2: القراؤون karaites: هم الطائفة الثانية من حيث العدد، ولكنهم أكثر ثراء، وقد اشتق اسم هذه الطائفة من المصدر العبري "قرأ"[2]، وذلك لأنهم لم يعترفوا بغير "المقرأ" أي ما يقرا فيه، وهي التوراة، ولم يتقيدوا بالتلمود، ولأنهم كانوا يدعون إلى طريقتهم عرفوا أيضا باسم "أهل الدعوة" أو "أصحاب الدعوة".

ومنذ ذلك الحين صاروا يعرفون باسم "القرائين" أو "بني مقرا" إشارة إلى تمسكهم الحرفي بالتوراة ورفضهم كتب التشريع اليهودي ماعدا التوراة.

ويرجع بعض الباحثين أصل هذه الفرقة إلى النصف الثاني من القرن الثامن بعد الميلاد حين دعا **"عنان بن داود"** إلى مذهب جديد، نتيجة خلاف نشب حول تولية منضب **"رأس الجالوت"** (رئيس اليهود) في العراق[3]، وكان ذلك في عهد **"أبي جعفر المنصور"**[4]

في حين يرى الباحث **"مراد فرج"** أن أصل القرائين يعود إلى فترة سابقة عن زمن **"عنان بن داود"**، حيث أن افتراق القرائين عن الربانيين بدا قبل ميلاد المسيح عليه السلام بسبب الخلاف حول التلمود[5].

3: السامرة samartans: اشتق اسمها من السامرة عاصمة مملكة إسرائيل القديمة التي كانت تقع إلى

---

[1] سورة المائدة، الآية 44.

[2] **قرأ:** بفتح، فضم ممدودا والألف ساكنة، ومعناه: قرأ، دعا، نادى. أنظر: قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص، 48.

[3] نفسه، ص، 50.

[4] **أبي جعفر المنصور:** (95 – 158هـ / 714 – 775م)، هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، ولد في الحميمية، يعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، وفي سنة 145هـ بدأ تخطيط مدينة بغداد التي جعلها عاصمة الخلافة، امتدت خلافته من (136 – 158هـ / 744 – 754م). أنظر: عبد الوهاب الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص، 24.

[5] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص، 50.

الشمال من شكيم[1]، وهم أتباع السامري الذي اخبر الله عنه،**قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ **قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ** ﴾[2]، ويقول بعض المفسرين أن هذا السامري هو الذي صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل[3].

وكانت هذه الجماعة منقسمة إلى فئتين: إحداهما تعترف بنبوة "**موسى وهارون ويوسع**" وتجحد من عداهم من النبيين، وأخرى تعتقد بنبوة كل الأنبياء ماعدا "**عيسى ومحمد عليه السلام**"[4]،ولا يؤمنون سوى بالسفار الخمسة التي تمثل القسم الأول من العهد القديم إلى جانب سفر يوشع والقضاة وهم ينكرون بقية أسفار العهد القديم وأسفار التلمود[5].

ولم يعتبر القراؤون والربانيون السامرين منهم، بل اعتبروهم وثنيين ومشركين وأطلقوا عليهم اسم "شومارنيم" ولكن السامريين حرفوا تلك الكلمة إلى "شمرنيم" أي المحافظين على الدين الأصل، ومع ذلك عاملتهم السلطات العثمانية على أنهم فرقة يهودية ومن أهل الذمة[6].

فهذه هي الطوائف الثلاث التي كانت تشكل جسد اليهودية.

[1] يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص، 11.

[2] سورة طه، الآية 85.

[3] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص، 53.

[4] يوسف نعيسة، نفس المرجع ، ص، 11.

[5] قاسم عبده قاسم، نفس المرجع ، ص، 56.

[6] يوسف نعيسة، نفس المرجع ، ص، 11.

II – الطوائف المسيحية.

بعد مجمع خلقيدونية سنة 451م[1]، حدثت القطيعة الكبرى الأولى في جسد الكنيسة الرسولية، فلقد تم وصم المشرق من قبل الغرب بأنه يدين بمذهب الطبيعة الواحدة، بينما الغرب وصف المشرق بأنه بمذهب الطبيعتين[2].

أ)–**أصحاب الطبيعتين (النساطرة)**: هم أتباع الراهب "**نسطوريوس**"[3] الذين قالوا بوجود طبيعتين للمسيح (الناسوتية والإلهية)[4]، وبسبب آراء نسطور هذه، ولأن الكنيسة الرسمية اعتبرتها خطرة عقد مجمع أفسس[5] عام 431 ،وأعتبر نسطوريوس هرطوقا وحرمه وعزله عن رتبته البطريركية، فلجأالنساطرة إلى البلاد التي تحكمها الدولة الساسانية غير المسيحية فقوي نفوذهم وانتشر مذهبهم.

ب)–أصحاب الطبيعة الواحدة (المونوفيسية): يقول المؤمنون بالطبيعة الواحدة بإتحاد الطبيعتين الإلهية والإنسانية بدون اختلاط وامتزاج، وقد رفض المجمع الخلقيدوني هذا الإيمان فانشطرت الكنيسة إلى شطرين[6].

وفيما يلي عرض لهذه الطوائف:

---

[1] **مجمع خلقيدونية**: مجمع مسكوني عقد بدعوة الإمبراطور مرقيانوس سنة 451م في مدينة خلقيدونية في تركيا، وانعقد المجمع بسبب اختلاف المسيحيين حول طبيعة المسيح عيسى عليه السلام. أنظر: أحمد حامد إبراهيم القضاة، **نصارى القدس، دراسة في ضوء الوثائق العثمانية**، مركز الدراسات للوحدة العربية، ط1، 2007م، ص، 83.

[2] عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، تر، إسحاق عبيد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص، 87.

[3] **نسطوريوس (نسطور)**: أنتخب بطريركا لكرسي القسطنطينية عام 428م، وهو لاهوتي من خريجي مدرسة أنطاكية، كان يؤمن بوجود طبيعتين في الكلمة: اللاهوت والناسوت، ويفصل بينهما فصلا كاملا (مسيحا إلهيا ومسيحا بشريا). أنظر: حسين العودات، **العرب النصارى، عرض تاريخي**، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، نيسان 1992م، ص، 29.

[4] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص، 87.

[5] **مجمع أفسس**: أحد مجامع الكنيسة المقدسة، بدأت جلساته في كنيسة السيدة العذراء في 17 جويلية 432م، حضر المجمع 200 أسقفا، وحكم المجمع على نسطور بأنه هرطوقا.

[6] حسين العودات، نفس المرجع ، ص ص، 29، 30.

1: الروم الأرثوذكس Arman arthodox: مجموعة مذهبية أرثوذكسية، ويدعون أيضا بالسريان الملكيين لأنهم اتبعوا مذهب الملك البيزنطي مارقيانوس عقب مجمع خلقيدونية سنة 451م .

وكانت الأكثر نفوذا وأسمى الكنائس، وكان أعلى سلطة دينية للكنيسة الأرثوذكسية البطريرك الذي ينتخب من قبل أعضاء الطائفة، ويصادق على تعيينه السلطان بإصدار البراءة السلطانية، ويقيم البطريرك بالأستانة ويدافع عن حقوقهم ويحرص على إصدار الفرمانات لصالحهم من قبل السلطان. كما حرصت الدولة العثمانية على توفير الأمن والحماية للطائفة[1].

وكانت الملة الرومية الأرثوذكسية، الملة المسيحية الرئيسية المعترف بها من العثمانيين[2].

2: الروم الكاثوليك Arman catholiques: انشقت عن طائفة الروم الأرثوذكس، عرفت باسم الروم الكاثوليك عام (1136هـ / 1724م) ورغم انفصالها عنها فقد كان لبطريرك الأرثوذكس السلطة على الكنيسة الكاثوليكية ، وكان لايسمح لرجال الكنيسة من الطائفة الكاثوليكية بلبس القلانس السوداء[3]،

واضطهدهم الأرثوذكس بمساعدة الدولة العثمانية في البداية[4]، ويرجع وقوف الدولة العثمانية إلى جانب الروم الأرثوذكس إلى:

أ)- لأن الدولة العثمانية لم تكن في ذلك الوقت تعترف بالطوائف التي انشقت عن أصولها.

[1] أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 88.

[2] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ج1، ص، 778.

[3] **القلنسوة**: هي طاقية يلبسها رجال الدين، شكلها أسطواني كالطربوش وتعلوها واقية مستديرة واسعة. أنظر: أحمد حامد إبراهيم القضاة، نفس المرجع ، ص، 95.

[4] نفسه، ص، 95.

ب)-لأن الدولة العثمانية نظرت إلى الأرثوذكس على أنهم وطنيون فوصفتهم السجلات"**رعايامولانا السلطان نصرة العزيز الرحمن**"،أما الكاثوليك فهم من أتباع أوروبا أعداء الدولة العثمانية.

ورغم ذلك استطاعت هذه الطائفة أن تنتخب بطريركا خاصا بهم (1137هـ / 1724م)، واعترفت الدولة العثمانية بهذه الطائفة سنة (1248هـ / 1833م)[1] ، أي بعد سنة تقريبا من انتخاب البطريرك "**كيرلس السادس طاناس**"[2].

3: **طائفة الأرمن armenians:**أرمينيا أول مملكة في التاريخ تتبنى العقيدة المسيحية كديانة رسمية للدولة والشعب في آن واحد.

وكلمة أرميني من أصول يونانية، أما الأرمن فيطلقون على أنفسهم كلمة "حيكاح" وعلى وطنهم لفظة "هياستان"[3].

وكان الأرمن مثلهم مثل بقية الطوائف المسيحية الأخرى، يعيشون تحت الحكم العثماني في ظل ما يعرف باسم نظام "الملة"، وإن كانوا قد تمتعوا بقدر كبير من الحكم الذاتي[4]،وكان للكنيسة الأرمينية رئيس روحي معترف به هو "الجاثليق" يقيم في أرمينيا الشرقية خارج حدود الإمبراطورية العثمانية، كما اختار السلطان "محمد الفاتح" أسقف بورصة "يوفاكيم" ورسمه بطريركا في الأستانة عام (866-883 هـ /1461- 1478م) وأوكله الإشراف

[1] أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 96.

[2] **كيرلس السادس طاناس**: (1724 – 1760م)، واعترفت به روما عاو 1728م بشروط منها: استعماله لغتهم في الكنيسة وحفظ أيام الأعياد عندهم. انظر: نفسه، ص، 96.

[3] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص، 379.

[4] نفسه، ص، 384.

على طائفة الأرمن ومنحه سلطات مشابهة لسلطات كل من بطريرك الأرثوذكس وحاخام اليهود[1]. كما أن "محمد الفاتح" قام بنقل عائلات أرمينية من طرابزون وغيرها إلى العاصمة القسطنطينية[2].

وصدر لصالحم فرمان باسم **"خط كلخانه الشريف"**[3]

سنة 1839م ثم دستور خاص سنة 1863م ليؤكد على قيام دولة شبه مستقلة للأرمن ضمن أطر السيادة العثمانية[4].

4: اللاتين ifrancha: بعد طرد الصليبيين عام (690هـ /1291م) بقي عدد من التباع الكنيسة اللاتينية في بلاد الشام وأشرفت على غدارة شؤونهم الأخوية الفرنسيسكانية[5]، التي عهد إليها حراسة بعض الأماكن المقدسة وخدمة الحجاج الفرنج وكان الرهبان الفرنسيسكان ذوي قوة ونفوذ بحيث إنهم استطاعوا عام (1233هـ / 1817م) تحويل عدد كبير من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية على الرغم من وجود مرسوم سلطاني صادر عام (1145هـ / 1723م) يمنع المبشرين الكاثوليك من تحويل أي من مسيحي السلطان العثماني إلى الكاثوليكية[6].

---

[1] أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع سابق، ص، 99.

[2] يوسف إبراهيم، **تركيا والأرمن**، سلسلة ملفات تركية، ط1، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2001م، ص، 16.

[3] **خط كلخانه**: نسبة لقصر كلخانة (قصر الزهور) الذي قرأ فيه"مصطفى رشيد باشا" فرمان السلطان "عبد المجيد" (1839 – 1861م)، الذي أعلن فيه رسميا البدأ بإجراء تغييرات جذرية في جميع مؤسسات الدولة وعدم التفرقة بين المواطنين في الحقوق دون النظر في أديانهم أو مذاهبهم أو إنتمائهم القومي، وتم في (1255هـ / 1839م). للمزيد أنظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مر، عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (1421هـ / 2000م)، ص، 101.

[4] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص، 384.

[5] **الفرنسيسكان**: جماعة تأسست في القرن الثالث عشر ميلادي من قبل القديس "فرنسيس"، ومركزها روما، ومنح فرع خاص من الرهبنة لحماية الأماكن المقدسة النصرانية تحت شعار الوصاية على الأرض المقدسة، ورئيسها معروف "براعي الأراضي المقدسة". أنظر: أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 108.

[6] نفسه، ص ص، 108- 109.

5: الأقباط the copts: إن كلمة "قبطي وكلمة مصري مترادفتان في المعنى، فهما مشتقتان من الكلمة اليونانية "ايجبتوس aigyptos" التي كان اليونان يستخدمونها للإشارة إلى مصر ونهر النيل[1].

وهناك رأي قديم آخر يقول بان الكلمة مشتقة من المصادر العربية، ولقد أطلق العرب على مصر "دار القبط" عندما كان أهلها على الديانة المسيحية، وهذا صارت كلمة "قبطي" ترادف كلمة مسيحي، واليوم يسكن القبطي بجوار أخيه المسلم في نسيج واحد متلاحم بغض النظر عن انتمائهم العقائدي[2].

أما عن أحوال الأقباط تحت الحكم العثماني، فكانت اقل سوء من أحوالهم زمن أواخر السلاطين المماليك، واستطاع أحد الأقباط "إبراهيم" أن يستصدر فرمان من الباب العالي بإستانبول لتشييد كاتدرائية القديس "مرقص" في حي الأزبكية والتي أصبحت من ذلك التاريخ المقر الرسمي للبطريركية[3].

6: الأحباش Abyssinians: هم خليط من الأعراق السامية والإفريقية[4]، وينتمي الأحباش الأرثوذكسية الشرقية، وكانوا يتبعون البطريركية القبطية وذكر القنصل البريطاني "جيمس فن": "إن الكنيسة الحبشية بنت الكنيسة القبطية"، وامتلك الأحباش العديد من الأماكن الدينية، إلا أنهم فقدوها في القرن السابع عشر بسبب الضرائب التي فرضوها العثمانيون عليهم، واعتداء الأرمن عليهم، وبحكم العلاقة التي تربطهم بالأقباط ظل الأحباش يقطنون مع الأقباط في مكان واحد.

واعتبرت سنة (1289هـ / 1820م) نقطة تحول في العلاقات بين الأقباط والأحباش، إذ زاد التنافر والتباعد فيما بينهم، وفي أوائل القرن التاسع عشر تناقص عددهم وازدادت تعديات الطوائف المسيحية الأخرى

[1] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص، 121.

[2] نفسه ، ص، 122.

[3] نفسه، ص، 126.

[4] نفسه، ص، 177.

عليهم[1]. إلا أن أحوالهم لم تستمر في هذا السوء فقد تحسنت أواخر القرن التاسع عشر بعد أن أرسل ملك الحبشة "النجاشي يوحنا" الأموال اللازمة لسد حاجة الأحباش، وبذلك تمكنوا من المحافظة على بعض أملاكهم[2].

7: السريان:assyriansn :سموا بهذا الاسم نسبة إلى وطنهم الأصلي التاريخي "سوريا"[3]، وتمتد جذور السريان إلى الآراميين وهم الشعوب التي أطلق عليها مصطلح "الشعوب السامية "[4].

والسرياني يعني الآرامي النصراني، وان السريان لم يكونوا من قديم الزمان يسمون بهذا الاسم لكنهم كانوا يسمون قديما الأرميين سواء كانوا شرقيين أم غربيين نسبة إلى جدهم **"آرام بن سام بن نوح"**[5].

انقسم السريان عام (1073هـ / 1662م) إلى أرثوذكس وكاثوليك، وضعف شأن الكاثوليك ليظهروا ثانية عام (1186هـ / 1782م)، وبقيت الكنيسة الكاثوليكية السريانية تابعة للكنيسة الأرثوذكسية الأم مدنيا حتى عام (1261هـ / 1845م) وبعدها انفصلت عنها عندما حصلت على اعتراف بذلك من السلطان **"عبد المجيد الأول"**[6](1255-1278هـ / 1839- 1861م) بتعيين البطريرك **"أغناطيوس السابع"** المعروف بالراهب **"بطرس جروة"** عام (1244- 1268هـ / 1828- 1851م) بطريركا على أنطاكية والإسكندرية وأورشليم.

---

[1] أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص ص، 116، 118.

[2] نفسه، ص، 119.

[3] سمير عبده، **السوريون والحضارة السريانية**، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1998م، ص، 7.

[4] نفسه، ص، 56.

[5] نفسه، ص، 65.

[6] **عبد المجيد الأول**:(1237 – 1337هـ / 1823 – 1861م) ولي السلطة سنة (1255هـ / 1839م)، من أهم أعماله أنه ساوى بين المسلمين غيرهم في الحقوق المدنية، وألغى الجزية وفرض مكانها التجنيد على المجندين من غير المسلمين. أنظر: محمد جميل جهيم، أوليات سلاطين تركيا المدنية والسياسية، دط، مطبعة العرفان، صيدا، (1350هـ / 1931م). ص ص، 46- 47.

وخضعت طائفة السريان الأرمن، فكان جاثليق الأرمن الكاثوليك بالقسطنطينية يدير شؤونها لدى الباب العالي الذي كان يحسب رئيسا مدنيا لجميع الكاثوليكيين العثمانيين[1].

8: الموارنة marosits: أصبحت الكنيسة المارونية منذ وقت ليس ببعيد معقلا هاما للكاثوليكية الرومانية في منطقة الشرق الأوسط، وأبناء هذه الكنيسة يشغلون حيزا هاما في بنية لبنان ويمثلون نقطة محورية في بلاد الشام، ويمثل الموارنة أغلبية السكان في جمهورية لبنان [2].

وتشير الوقائع التاريخية إلى أن المسيحية وحدت طريقها إلى جبال لبنان في القرن الرابع، وذلك عندما دخل القديس "**مارو**" أو "**مارون**"[3]في سلك الرهبانية، ولكن المؤسس الحقيقي للكنيسة المارونية هو القديس "يوحنا مارون" في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن[4].

وبطريرك الموارنة لا يعين من قبل السلطان بإصدار البراءة السلطانية لان الدولة العثمانية لم تعترف به لرغبته في الاستقلال[5].

[1] أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص ص، 120، 122.

[2] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص ص، 485، 486.

[3] **مارون:** قديس ولد عام 410م، وعاش في منطقة أفاميا (اللاذقية) في سوريا، وأسس أتباعه رهبانية وديرا تخليدا لذكراه على ضفاف نهر العاصي، وكانت نواة الكنيسة المارونية. أنظر: أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 130.

[4] عزيز سوريال عطية، نفس المرجع ، ص ص، 489، 490.

[5] أحمد حامد إبراهيم القضاة، نفس المرجع ، ص، 132.

المطلب الثالث: عوامل تواجد الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية

1-سياسة التسامح

من خصوصيات الدين الإسلامي التسليم بجميع الرسالات السماوية السابقة و احترامها ، و اتضحت هذه الخصوصية من خلال احتواءه للفئات الغير المسلمة، فقد عاشت تحت حكم الدول الإسلامية دون أن يحصل لهم أي أذى، ومن بين هذه الدول الإسلامية التي كانت بلغت أوج قوتها، الدولة العثمانية فقد مثلت الإسلام أحسن تمثيل مستندة إلى الشرع الإسلامي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1]

فهذه السياسة لم تبدأ مع"**محمد الفاتح**"[2] كما هو معروف عن عصره لكن سبقه إلى ذلك مجموعة من السلاطين، فعندما كان "**عثمان**"[3]في عهد أبيه أميرا على "قرة حصار"[4]، بعد فتحها عام (1285م-684هـ) هناك قام بالحكم على قضية بين بيزنطي وتركي، وأعطى الحق للبيزنطي،فتعجب البيزنطي من الحكم

[1]سورة الممتحنة ، الآية 8.

[2]**محمد الفاتح**: ولد سنة(733هـ / 1429م) تولى العرش بعد وفاة أبيه مراد الثاني كان عمره حينها 21 سنة عصره بالقوة والتوسع في اروبا بعد فتح القسطنطينية عام 1453م وقد اتسمت سياسته بالتسامح الديني . للمزيد انظر: جمال الدين فالح الكيلاني و زياد محمد الصميدعي، **تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث**، ط1، المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم، فاس، المغرب، 2013، ص، 21.

[3]**عثمان**: (1259 / 1299م،) قائد الأتراك ومؤسس الدولة العثمانية، ابن أرطغل الذي يصعب التحقق من شخصيته، اقطعه السلاجقة الأراضي التركية بآسيا الصغرى لأنه ساعدهم في حربهم ضد البيزنطيين، أعلن استقلاله عند انهيار دولة السلاجقة خلفه أورخان بسبب مرضه، وأحذ الأتراك العثمانيون، هذه النسبة من جدهم. أنظر:علي مولى، **الموسوعة العربية الميسرة**، مج، 4، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت، 1960م، ص، 2219.

[4] **قرة حصار**: حاليا هي مدينة في غرب تركيا، وقد أخذت أهميتها التاريخية منذ العهد البيزنطي، فتحت من قبل عثمان، ولطبيعة موقعها استطاع أن يتوسع في الأراضي البيزنطية .

الصادر، فأجابه عثمان ببقوله تعالى ةقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[1] مما أدى دخول البيزنطي إلى الإسلام [2] .

ومن السلاطين الذين مثلوا السماحة الإسلامية "**اورخان**"[3]، فبعد أن فتح "**أوزنيق**"[4] ترك الحرية لأهاليها في ممارسة الشعائر الدينية الخاصة بهم، وسمح لهم بأخذ ممتلكاتهم إن غدروا وبيع عقاراتهم و أخذ ثمنها"[5].

وتمثلت سمعة الدولة العثمانية، في صرخة الدوق –وهو ثاني رجل في الإمبراطورية– بعد فتح القسطنطينية، وهي: "**أن نرى عمامة الأتراك خير من أن نرى قبعة الكاردينال**"،لأنه فرض عليهم توحيد الكنيستين البروتستانتية و الكاثوليكية من قبل الإمبراطور و هذا ما تم رفضه من قبل البروتستانت ،في المقابل كان الدين الإسلامي يمنحهم حرية المعتقد"[6].

وقد وأورد جواد قيس العزاوي على أن الدولة العثمانية اعترفت بالطوائف المسيحية واليهودية اعترافا رسميا لدى الدولة[7].بعد فتح القسطنطينية أوجدت بطركية أرمينية في الإمبراطورية، نهجت سياسة روما، وهي تنسجم، مع عادت الدولة التركية الإسلامية القديمة وقد كانت الطائف الأرثوذكسية وضعها أكثر اعتبارا لأنها

[1] سورة النساء، الآية 58.

[2] أماني بنت جعفربن صالح الغازي،ج1، **الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، عرض ونقد وتحليل** ج1، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، في تاريخ الحديث، إشراف أميرة بنت علي مداح،كلية الشريعة للدراسات الإسلامية، قسم تاريخ، جامعة أم القرى، المملكة السعودية،(2010م / 1431هـ)، ص، 177.

[3] **أورخان**:ولد سنة (680هـ / 1281م)، في مدينة سكوت، والدته مال خاتون زوجة عثمان الأولى، وابنة الوزير السلجوقي، عمر عبد العزيز، وهو أول السلاطين بحق ألقاب السلطان. للمزيد انظر: **أحمد أق كندوز،وسعيد أوزتورك** ، **الدولة العثمانية المجهولة**، د ط، استانبول، 2008م، ص، 63.

[4] **أوزنيق**: هي مدينة تقع في أقصى شمال غرب الأناضول .

[5] أماني بنت جعفر بنت صالح الغازي، نفس المرجع، ص131.

[6] نفسه، ص83.

[7] قيس جواد العزاوي، **الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط**، ط2، الدار العربية للعلوم، 2003، ص، 82.

كانت خاضعة للبطريك اليوناني الذي كان له نفوذ على الكاثوليك واليعقوبيين"[1]، كما منح للحاخام اليهودي حق تمثيل اليهود أمام الحكومة، والنظر في قضياهم"[2]،

وقام جواد قيس العزاوي بمقارنة حول الكتابة عن التسامح الديني الدولة العثمانية بين المؤرخين "ستانفورد شو" والانكليزي "أندري ميكيال"، وجد أن الدولة العثمانية لم تجبر أحد على الدخول للدين الإسلامي باستثناء الأطفال الذين دخلوا إلى الانكشارية[3] .

وفي مجال الإقامة تقول هدى درويش: "أن الدولة العثمانية طبقت نظاما خاص للأجانب المقيمين في الدولة العثمانية يمنحهم حق التصرف و امتلاك الأراضي والعاقرات، في جميع أنحاء الدولة العثمانية، ما عدى منطقة الحجاز" [4].

فالأمير "**مراد الأول**[5]" سمح بإقامة اليهود في مدينة أنقرة بعدما حولها العاصمة الدولة بعد بروسنة، وعاشت فيها أكبر الطوائف اليهودية وأيضا الأمير "مراد الثاني"[6] فقد أعطى لليهود حق امتلاك الأراضي،حيث لقبه اليهود "الرجل الإنساني الكبير"[7].

---

[1] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص،84.

[2] رفيق شاكر، **عبد الحميد الثاني وفلسطين**، مكتبة مدبولى، القاهرة 1990، ص، 21.

[3] قيس جواد العزاوي،نفس المرجع ، ص،84.

[4] ،هدى درويش: **الدولة العثمانية وتعاملها مع غير المسلمين**، د ط،د د ن، د س،ص،62.

[5] **مراد الأول** : (726هـ/1326م)، سلطان عثماني ، وهو ابن أورخان وخليفته ، وسع ممتلكات الدولة العثمانية في أوروبا ، فتح مقدونيا ، واتخاذ أدرنة عاصمة ، اجبر الإمبراطور البيزنطي يوحنا ، على دفع الجزية ، في 1373م،قتل في مراد في معركة قوصوة ، التي بلغ بها أوج انتصاراته ،والتي ألقت بالصرب في أحضان الدولة العثمانية ، وقد عرف بقسوته ، حيث انه عاقب اكبر أبنائه بسبب ثورته عليه بسمل عينه ،وفي سنة 1373م خلفه ابنه بيازيد الأول . علي مولى ، المرجع السابق ،ص،3084.

[6] **مراد الثاني**: والدته دلقادر أوغلو، أمينة خاتون تولى العرش وهو في السن الثامن عشر في جو متأزم بعد تولية المنصب، أطلق صراح السلطان مصطفى من قبل، الإمبراطور البيزنطي. للمزيد انظر : يلماز أوزتونا،**تاريخ الدولة العثمانية**،مج1،ترجمة عدنان محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988، ص، 120.

[7] هدى درويش ، نفس المرجع ، ص، 65.

أما في عهد السلطان "**سليمان القانوني**"[1]، فقد قام بدعوة اليهود الأشكناز للاستيطان في الأراضي العثمانية، وبالفعل وصلت أعداد كبير منهم، وسكنوا مع إخوانهم اليهود في إستانبول، وأدرنه وسيلانيك وفلسطين، وكانت هذه الهجرة تضم عدد لابأس به من الحاخامات[2] .

وفي القدس الشريف، تمثلت سياسة الدولة العثمانية تجاه الطوائف النصرانية بأنها سمحت لهم ببناء الأديرة والكنائس[3] ، وكانت لا تجبر الدولة العثمانية الإقامة في مكان محدد بل تركت المجال أمامهم وسمحت بإقامة تجمعات سكنية، مع من يستعطون التفاهم معهم لغويا وعقائديا وفقا لأعرافهم[4].

أما فيما يخص الجزية فقد تعاملت معهم بحنكة سياسية، فقد فرضت دفع الجزية، لكن أقل من التزاماتهم تجاه الإقطاعية في بعض فترات الحكم البيزنطي[5].

وفي حرية ممارسة الشعائر الدينية ، فقد كانت ملتزمة بالحفاظ على الكنائس وتسمح بترميمها، ومنحت حق ممارسة الشعائر الدينية، وتركت تولي الأمور الرعية إلى رؤساء الرومانيين ولم تكن الحرية الدينية مقصورة فقط على العبادة والإقامة فقط، فقد كانت متاحة في مجالات أخرى كالزواج، الطلاق، الوصية ،الميراث وغير

[1] **السلطان سليمان القانوني** : (1494 – 1566 م) هو عاشر سلاطين آل عثمان، اعتلى العرش سنة 1520م، بلغت دولته أوج قوتها، كان ذا مقدرة كبير ة على التنظيم وسن القوانين لذلك لقب ب "القانوني،" شارك في 13 حملة، من أبرز فتوحاته الاستيلاء على بلغراد سنة 1521م، وجزيرة رودس عام 1522 م، و انتصر في معركة موهاكس على المجر عام، 1525م، وحاصر فينا، وحمى تونس من الخطر البرتغالي، ومنح الامتيازات للدول الأوربية، خصوصا مع فرنسا، قضى أيضا على الصفويين العراق. احمد مهدي محمد الشويخات ، **الموسوعة العربية العالمية**،ط 3،د د ن، المملكة العربية السعودية،(1425هـ /2004م).

[2] سنان صادق، **يهود الدونمة نشأتهم وإثرهم في الدولة العثمانية حتى عام 1909**، م، ديالي، ع، 55، 2012م، ص، 269.

[3] فطيمة سليم حماد الطروانة، المرجع سابق،،ص5.

[4] ستانفورد ج. شو، **يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية**، تر، الصفصافي أحمد قطورى، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، (1436هـ / 2015م)، ص ص 13، 14.

[5] أماني بنت جعفر بنت صالح الغازي، المرجع السابق، ص151.

ذلك من كافة المعاملات الحقوقية التي أقرتها أديانهم[1].

وفي مجال التعليم، فكان يمارس في مدارس خاصة بالرعايا غير المسلمين في الدولة العثمانية، وكان يتركز على الاستقلال القانوني والقضائي، في إطار أحكام، طوال تاريخ الدولة العثمانية، فكانت تبنى ملحقة بالكنيسة والقساوسة يقيمون بتعليم أبنائهم فيها[2].

وقد اتضحت سياسة التسامح الديني في الزواج السياسي حينما تزوج "**بايزيد الأول**"[3] من ابنة ملكة الصرب،وسبقه إلى ذلك "أورخان" عندما سمح له بالزواج من ابنة ملك بلغاريا، وهي والدة "مراد الأول"

وعلى العموم استعملت الدولة العثمانية سياسة التسامح الديني منذ نشأتها ولو فعلت كما فعل الأسبان بمسلمي الأندلس واليهود، بعد سقوط غرناطة[4] ، لكان اليونان، الصرب، يوغسلافيا، بلغاريا، رومانية، جزيرة القرم، شرق النمسا، وجنوب بولندا، لا أثر فيها لأهل الكتاب،لكن الحاكمين بالشرع الإسلامي حافظوا على سمعة الإسلام[5].

ولا يمكن حصر سياسة التسامح الديني في مجال واحد فقد تعددت بحسب ما منحه الإسلام لأهل الذمة.[6]

---

[1] ستانفورد ج.شو: المرجع السابق، ص، 15.

[2] هدى درويش،المرجع السابق، ص، 60.

[3] **بايزيد الأول**:(761_1360هـ) لقب ببيازيد "يلدرم" "الصاعقة"نتيجة للبطولات التي أبداها في الحرب مع "بني قرامان "عام (761هـ/1360م) عندما كان وليا للعهد ، لكن هو أكثر السلاطين العثمانيين تعرضا للأقاويل بسبب نقطتين : هزيمته أمام تيمور في أنقرة عام (1402/805م)، وثانيا حول قضية زوج ابنته. للمزيد انظر : احمد أق كندوز ،سعيد أوزتورك، المرجع السابق ،ص ص،89 – 100.

[4] **غرناطة** : تقع مدينة غرناطة جنوب مدينة مدريد عاصمة اسبانيا الحالية، حيث تعني غرناطة، (رمنته)، ولما فتحها المسلمون كانت بمثابة مدينة رومانية صغيرة باسم البيري، ثم أصبحت دولة لبني الأحمر، كانت تعتبر إحدى أهم المدن الحضارية مثلها مثل طليطلة واشبيليا، كنت بها مجموعة من المدارس، مثل مدرسة الرياضيات التي أسسها" أبي قاسم المجريطي "سنة ،(398هـ / 1008م)، حيث كانت تأتي مجموعة من الطلاب من مختلف الأقطار المجاورة, للمزيد أكثر، انظر، مؤلف مجهول، **مدن لها تاريخ**، سلسلة إصدارات الفلق الالكترونية /2، ص،7.

[5] أماني بنت جعفر، بن صالح الغازي، المرجع السابق، ص،181.

[6] مصطفى حلمي ، **الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية**، دراسة حول كتاب " النكير على مذكري النعمة من الدين و الخلافة والأمة" ،ط، 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1420 هـ / 2004 م، ص، 63.

كما يقول "شكيب أرسلان " لقد كانت في السلطنة العثمانية عشرات الملايين من المسحيين، يعشون وافرين مترفتين كاسبين متمتعين ب امتيازات كثيرة مدة عمل الأتراك بالشرع الإسلامي"[1].

وكما قال "بيتر شوجر"، في دراسته على التسامح الشديد في معاملة الحكام الأوائل لرعياهم من آهل الذمة :"هي سياسة غير عادية بالنسبة لدولة إسلامية واحترام القوانين، وتطابق هذا ما جاء في الشريعة الإسلامية من حيث معاملة أهل الكتاب [2].

2-إنقاذ واستقبال الدولة العثمانية لليهود:

في شبه الجزيرة التي كان المؤرخون المسلمون يطلقون عليها اسم"الأندلس" وتطلق أوروبا عليها اسم "إسبانيا" ، كان اليهود يعيشون في حرية وأمن - كغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى – في ظل الحضارة الإسلامية التي أقامها الأمويون في الأندلس، كان اليهود يعدون أيضا من أهل الذمة.

ولكن ما أن سقطت الدولة الإسلامية في الأندلس عام (897هـ / 1492م) وسيطرت عليها القوات[3] المسيحية التي كانت تحمل ذهنية روما السابقة.حيث قامت بطرد اليهود و إبعادهم بشكل تعسفي .

فالتجؤوا بذلك فارين من القمع المسيحي باحثين في أرجاء المعمورة عن موطن جديد يعيشون على ترابه دون خوف.

[1] بيتر شوجر ،**أوروبا العثمانية(1354هـ / 1854م)في أصول الصراع العرقي بين الصرب و البوسنة** ، تر، عاصم الدسوقي ، ط1، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ،1999م، ص،61.

[2] أحمد آق كوندوز وسعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص، 206،

[3] نفسه، ص، 206.

كان يحكم إسبانيا عام (897هـ / 1492م) الملك"**فرديناند**"[1] وزوجته الملكة "**إيزابيلا**"[2] وكانا كاثوليكيان شديدي التعصب للمسيحية، وكانا يبغضان اليهود بسبب معاداتهم "**لعيسى عليه السلام**"، لهذا أراد الملك فرديناند وزوجته وضع نهاية لهؤلاء فطالبهم بضرورة دخولهم في المسيحية[3].

وفي 30 مارس (898هـ / 1492م) وقع فرديناند وإيزابيلا مرسوم نفي اليهود الموجودين في البلاد غير المعمدين ومن يخالف ذلك يعدم.[4]

فأدى طرد اليهود إلى الهجرة عبر موجات متعاقبة[5]وكانت الهجرة اللافتة للنظر تلك التي حدثت في (898هـ – 1492م) وسنة (901هـ / 1496م)[6] بعد طردهم من إسبانيا هروبا من محاكم التفتيش[7]، ونظرا لكونهم يمتلكون سمعة رديئة بين الأمم الأخرى لم يستطيعوا العثور على ملجأ لهم[8]، ومع ذلك رحبت بهم الدولة العثمانية ووجدوا فيها ملاذا آمنا.

---

[1] **فرديناند الخامس**: ابن الملك خوان الثاني، ورث عرش أراغون سنة 1479م، تزوج الملكة إيزابيلا سنة 1469م، وحد الممالك المسيحية في اسبانيا، توفي سنة 1516م وخلفه حفيده "شارل الأول". انظر: علي مولى،ج5، ص، 75.

[2] **إيزابيلا**: (1451 – 1504م) ملكة صقلية من (1469 – 1504م)، ثم ملكة قشتالة وليون من (1474 – 1504م)، ثم ملكة إسبانيا من (1479 – 1504)، وملكة نابولي 1504م، قامت بإنشاء محاكم التفتيش في اسبانيا.

[3] هدى درويش، **العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648م إلى نهاية القرن العشرين**، ج1، ط1، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، دار القلم، دمشق، (1423هـ – 2002م)، ص، 29.

[4] خالد سلمان شدهان، **يهود الدونمة وعلاقتهم بالطورانية التركية في الدولة العثمانية**، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 18، ع 6، قسم التاريخ، جامعة تكريت، 2011م، ص، 383.

[5] Gilles veins, **Juifs et musulmans dans l'empire ottoman**, se, sd, p, 173.

[6] ستانفورد ج. شو، المرجع السابق، ص، 16.

[7] بان غانم احمد الصائغ، المرجع السابق، ص، 11.

[8] هيلة بنت سعد السليمي، **دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية**،مذكرة تخرج للحصول على الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف يوسف بن علي الثقفي، كلية الشريعة، قسم الدراسات العليا والتاريخية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001م، ص، 12.

فكانت الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة التي فتحت أبوابها لليهود بعد أن أغلقت كل المدن الأوروبية أبوابها في وجوههم[1]، إذ آواهم السلطان"**بايزيد الثاني**"[2] وكان له دورا في إنقاذ يهود جزيرة "إيبيريا" من الإفناء الكامل في أفران محاكم التفتيش المسيحية، حيث كلف القبطان "كمال رئيس" بالتوجه بالأسطول العثماني لإنقاذ المسلمين واليهود من الأندلس[3]،وقام السلطان بقبول اليهود المطرودين من إسبانيا وإسكانهم في مناطق مختلفة من المملكة العثمانية وذلك بشرط قبول أحكام أهل الذمة والخضوع لها[4]، فنقلت السفن العثمانية العديد من اليهود إلى الموانئ العربية العثمانية، وفي ظل هذا التسامح والحرية التي منحها العثمانيون لليهود المبعدين من الأندلس دفع يهود كل الدول الأوروبية وروسيا القيصرية إلى الديار العثمانية[5].

إن دفتر طابو التحرير لمدينة أدرنة والذي حرر من قبل السلطان"**ياووز سليم**"[6] عام (925هـ – 1519م)، فقد سجل في الصفحة رقم 40 من هذا الدفتر تحت عنوان "**جماعة إسبانيا**" أسماء رؤساء العوائل اليهودية التي طردت من إسبانيا وتم إسكانها في أدرنة، وفي هذه الوثيقة أن عدد هذه العوائل هو أربعون عائلة ونيف، أي ما يزيد قليلا عن أربعين عائلة[7].

[1] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي،المرجع السابق،ص، 272.

[2] **بايزيد الثاني**: (851 – 918هـ / 1448 – 1512م)، ولي السلطة في (886هـ – 1481م)، استنجد به مسلمو الأندلس، تهافتت بعض الدول على محالفته، وأعلن الحرب على مماليك مصر، انظر: محمد جميل جهيم، المرجع السابق، ص، 16.

[3] ستانفورد ج شو، المرجع السابق، ص، 16.

[4] أحمد آق كوندوز وسعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص، 206.

[5] ستانفورد ج شو، نفس المرجع ، ص، 17.

[6] **ياووز سليم**: (875 – 962هـ / 1470 – 1520م)، ولي السلطة في (918هـ – 1512م)، أشهر الحرب على دولة فارس ودخل منتصرا تبريز عاصمة الفرس، لقب بالشاه وضرب ذلك على السكة. انظر: محمد جميل جهيم، المرجع السابق، ص، 17.

[7] أحمد آق كوندوز وسعيد أوزتورك، نفس المرجع، ص، 207.

إذن فالسلطة العثمانية كانت الملجأ الوحيد لليهود الهاربين من الطغيان و الاضطهاد الأوروبي[1]، حيث قدمت لهم الأرض الآمنة التي طالما حلموا بها، وقدموا لهم المعاملة الحسنة[2]، كما تمتعوا بكامل الحرية في الإقامة والتنقل والعمل التجاري والصناعي[3]، وبالتالي هي الدولة الوحيدة التي لم يحدث فيها اضطهاد لليهود.

3-سياسة الامتيازات :

يمكن أن نطلق على نتائج سياسة الدولة العثمانية الرسمية تجاه الجاليات الأوروبي المقيمين في أراضيها أو التي تنتمي إليها تلك الجاليات ب: "**سياسة العهود**"،أو"**الامتيازات**" "**les capitulation**"،كما أسماها الأوروبيون.

ويمكن تعريفها بأنها: مجموعة البنود القانونية، التي تحدد وضع الأجانب في الإمبراطورية العثمانية، والتسهيلات الممنوحة لتجارهم ودور المشرفين عليهم من مواطنيهم، كالسفراء والقناصل دون أن يكون بند من البنود فيه إشارة إلى الأمور السياسية.

ويعتقد الغربيين أن كلمة "**capitulation** "في اللغة الانجليزية تعني: الخضوع المسيحي واليهودي،لإدارة المسلمين العثمانيين، وفي الجهة المقابلة،يرى المشارقة أنها تعني الخضوع للقوى الأجنبية وذلك لأن السلطان منح للأجانب تسهيلات لم يمنحها لرعاياه أنفسهم[4]،

[1] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق،ص، 83.

[2] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، المرجع السابق، ص، 273.

[3] هيلة بنت سعد بن محمد السليمي، المرجع السابق، ص، 12.

[4] ياسر بن عبد العزيز قاري، **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية**، ج1، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف يوسف بن علي الثقفي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية الحضارية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1422هـ / 2001م)، ص، 95.

فالمعاهدات التي تحولت إلى امتيازات وأعطت الحقوق للدول الخارجية[1] عموما هي: المعاملات القضائية القانونية الخاصة التي تقررت للأجانب الموجودين في الإمبراطورية العثمانية كانت في الظاهر الأمر لتسوية الأوضاع الأوروبيين المقيمين في الدول وعهدا لحماية أرواحهم وبضائعهم لكنها كانت في واقع الأمر الباب الذي دخلت منه الدول الأوروبية إلى الدولة العثمانية[2].

فقد ارتبط الوجود الأوروبي في الدولة العثمانية بمجموعة من الامتيازات المتمثلة في التسهيلات التجارية و البحرية المختلفة،التي لها خلفية تاريخية مع كل من جنوه[3] والبندقية [4] فهي بتالي تقليد بيزنطي قديم[5]، وهناك من أرجعها إلى العصر العباسي في عهد "**هارون الرشيد**"[6]، فقد منح **ضمانات** للإفرنج وتسهيلات، وتبعه سياسة الحاكمين بعده في علاقاته مع حكومة بيزا الايطالية وهي بمثابة **عقود** فقط[7].

وفي الدولة العثمانية بدأت مع السلطان "أورخان" الذي منح بموجبها حق إنتاج وتصدير المواد الأولية

---

[1]Anonyme, **le régime des capitulation** sé, pnourlon nourrit et librairie Plon, paris,1898.p 9.

[2] علي حسون، **تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية**، ط3، المكتبة الإسلامية، (1402هـ-1912م)بيروت، ص، 105.

[3]**جنوة**: مدينة ايطالية تقع شمال غربي ايطاليا بين خليج حنوه، وجبال الألب وجبال الابنيان، وهي اكبر الموانئ الايطالية، وأكثرها ازدحاما، كانت تمثل مركزا تجاريا هاما، عرفت با تبادلها التجاري مع الدولة العثمانية.

[4]**البندقية** : مدينة في ايطاليا على الجهة الشمالية للبحر، الادرياتيكي، ولقد ساعدها هذا الموقع، على أن تكون مركزا مهما لتصل بذلك خلال القرن 15 إلى أوج قوتها، وأصبحت تسيطر على تجارة في الجانب الشرقي، من حوض البحر الأبيض المتوسط، لكنها تراجعت بعد تغير الطريق إلى الرأس رجاء صالح.

[5] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص،86.

[6]**هارون الرشيد**: (149-191هـ/ 677-806هـ)،هو من الخلفاء بني عباس، تولى الخلافة بعد وفاة أخيه(170هـ/786م)، عرفت بغداد بالتطور الحضاري في عهده، وعرف عند الأوروبيين لما كان بينه وبين "شرلمان" ملك فرنسا من علاقات ودية،تبادلا من خلالها الهدايا، وعرف عندهم من خلال ألف ليلة وليلة رغم أنها شوهت صورته بأنه كان يتبع شهواته ،لكن المؤرخين اجمعوا على انه كان يحج عام و يغزوا عام، زيادة انه كان مثقفا ،و يجالس العلماء ، و عرف عصره بعدة ثورات مثل ثورة البربر وثورة الوليد بن طريف ،و تم القضاء عليها،ولى الخلافة لأبنائه الأمين والمأمون، وتوفي بعد مرضه في بسنابذ، احمد مهدي الشويخات، المرجع السابق مج ،4 موسوعة إلكترونية.

[7] فاطمة بوجلطي، **انعكاسات الامتيازات الأجنبية على بلاد الشام خلال القرن 19م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ الحديث ومعاصر، إشراف، الغالي غربي ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،قسم تاريخ، جامعة الجزائر 2 بوزريعة، (2010 /2011م)،ص، 12.

التي تدخل في صناعة الأقمشة لمدينة مانيسا[1]،وتلتها معاهد أخرى تجارية وقعها مراد الأول، مع جمهورية (راكوزا Raguse[2]، سنة 1365م، ومنحت من خلالها حق التجارة في المياه الدافئة .

ويمكن أن نعتبر البدايات الفعلية للامتيازات كانت مع فرنسا بين السلطان "سليمان القانوني" من عام (942هـ / 1536م) و "**فرنسوا الأول** [3]"وكانت هذه المعاهدة من أهم المعاهدات في تاريخ الدولة العثمانية[4].

وتضمنت معاهدتين متصلتين معاهدة تجارة ومعاهدة إقامة[5] متمثلة في 16 بندا [6]، ففي بندها الأول نص على التعاون الوثيق في جميع المجالات لاسيما العسكرية [7] ويظهر ذالك جليا في البند الأول ونورد ذلك فيما يلي: " يجوز لرعايا الدولتين، السفر برا وبحرا بمراكب مسلحة وغير مسلحة، والتجول في بلاد الطرف الأخر..والرجوع إلى الثغور و المدن أو غيرها، بقصد الاتجار حسب رغبتهم، بكامل الحرية وبدون أن يحصل لهم أذى...." [8]

---

[1] ياسر عبد العزيز قاري، المرجع السابق، ص، 104 .

[2] **راكوزا** : تقع جنوب الغربي من البوسنة، أسفل سواحل دالماجيا، أطلق عليها الأوروبيين في العصور الوسطى اسم (رانيكا) وعرفت فيما بعد(راكوز)ا،أما العثمانيون أطلقوا عليها (دوبروفينك) أي الشجراء، وهي ارض غير صالحة للزراعة، لذلك اتصف السكان للعمل في التجارة. انظر : رائد سامي حميد الدوري، **معاهدة الامتيازات العثمانية الانجليزية لعام 1580م،أسباب عقدها، بنودها، نتائجها**، "دراسة تاريخية تحليلية "م،الدراسات التاريخية و الحضارية (مجلة علمية محكمة) المجلد، 4، العدد،13 ، كلية التربية للبنات، قسم تاريخ، جامعة تكريت (1433هـ/ 2012م،) ص، ص، 271- 272.

[3] **فرنسوا** : (1494 –1547م)، أصبح ملكا لفرنسا عام 1515، كان مصالحه تتعارض مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة وقد كان هذا الصراع مرير بينه وبين شارل الخامس، صاحب الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وقد دام هذا عدة سنين أدى انهزام فرنسوا الأول في معركة بافيا، عام 1525 لينتهي بأسره، ومن ثم يرغم على توقيع معاهدة مجحفة في مدريد عام، 1526، لقب فرنسوا براعي النهضة لأنه اهتم بالأدب والفنون. للمزيد أكثر انظر احمد مهدي محمد الشويخات، المرجع السابق، موسوعة الكترونية.

[4] ظهرت هذه المعاهدة اثر طلب أم "فرنسوا الأول" من اجل تخليص ابنها، من إمبراطور الاسباني وقد اعتبر هذا الطلب أمر شرعي بالنسبة للقانون الدولي إذ كان البابا والسلطان العثماني هما المرجعان بالنسبة للملوك، لكن البابا ولكن في حالة ضعف لكن الملك الإسباني أطلق سراحه بعد توقيع معاهدة مجحفة وبعد ذلك وقع المعاهدة مع الدولة العثمانية. للمزيد أكثر أنظر:بلماز أستونا المرجع السابق،ص، 207 وما بعدها.

[5] ليلى الصباغ، المرجع السابق،ص، 143 .

[6] حسام الحفناوي، **الحلف العثماني الفرنسي وظهور الامتيازات في المنطقة**، د ط ،د د ن ،د ب ن، دس ، ص، 4.

[7]صلاح احمد هريدي علي، **الجاليات الأوربية في الإسكندرية دراسة وثائقية من المحاكم الشرعية، (923 –1213 هـ / 1517-1797**)،د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (1987 –1988).

[8] محمد فريد بك علي،**تاريخ الدولة العثمانية العلية**،تر،إحسان حقي ،ط 1،دار النفائس،بيروت،1402ه/1981م،ص،224.

أما في البند الثاني[1]، فقد نص على حق المتاجرة لرعيا في السلع لغير الممنوعة، وفي البند الثالث الرابع الخامس والسابع، نص على حول القضاء وعدم تدخل الدولة العثمانية في شؤون الرعايا من محاكمات والدعاوي القضائية، وفي البند الثامن نص على عدم جعل ممتلكات الرعايا في خدمة السلطان إلا برضاهم [2]، و أهم بند هو البند الخامس عشر إذ نص في شطره الأول على اعتراف السلطان العثماني الضمني أن فرنسا سوف تمثل دور الحامية للرهبان الفرنسسكان بمعنى أوسع للمسيحية اللاتينية في الدولة العثمانية بدلا من البندقية[3] وفي شطرها الثاني على حق البابا وملك انكلترا في منافع من هذه الامتيازات و كأنه أراد أن يجعلها دولية بدلا من ثنائية [4]، فقد اعتبرت هذه المعاهدة نقطة تحول في العلاقات الدولية [5]وعليه كانت معاهدة الامتيازات الجديدة قد منحت لفرنسا الحماية لرعاياها و حق التجارة في الشرق.

و ثاني معاهدة من حيث الأهمية والتي سوف تثبت وجود الجاليات الأجنبية في الدولة لعثمانية هي **معاهدة انكلترا، ا سنة (987هـ / 1580م)**:بين "**مراد الثالث**"[6] والملكة "**إليزابيث الأولى**" [7]

---

[1] انظر الملحق رقم 1.

[2] نفسه

[3] ليلى الصباغ، ج 2، المرجع السابق، ص، 782.

[4] صلاح أحمد الهريدي، المرجع السابق، ص، 21.

[5] ياسر عبد العزيز قاري، المرجع السابق، ص، 271.

[6] **مراد الثالث** : ولد سنة (953 هـ / 1547 م) ، كانت فاتحة أعماله،انه اصدر حكما بعدم شرب الخمر الذي شاع شربه، في عهد السلطان الذي قبله،خصوصا لدى الانكشارية مما جعلهم يثرون عليه، مما اضطره على إباحته لهم بمقدار لا يترتب منه ذهول العقل، وتكدير الراحة العمومية، وأمر بقتل إخوته وكانوا خمسة، ليؤمن على الملك من المنازعة، إن صار قتل الإخوة عادة تقريبا، في أوائل سنة 1570 أصبحت بولونيا تحت حمايته وكان هذا عقب تخلي "هنري دي لفالو" فذهب إشراف بولونيا لانتخاب "باتوري " الذي كان أميرا على ترنسليفانيا التي كانت تابعة لحكم الدولة العلية العثمانية. للمزيد أكثر انظر : فريد بيك المحامي، المرجع سابق، ص، 259 .

[7] **إليزابيث الأولى**:(1533-1603م)، ملكة انجلترا ارتقت العرش سنة 1558 م دخلت في صراع مع ملك اسبانيا' فليب الثاني "، كما انتهجت سياسة خاصة اتجاه الدول الأوروبية، حيث أضعفت مركز فرنسا الدولي، وألحقت هزيمة بحرية باسبانيا وذلك بإغراقها لأسطول الاسباني في شمال الأطلسي، قرب السواحل الانجليزية، أصبحت انجلترا في عهدها من أرقى الدول الأوربية، حيث إعادة المذهب الانكليكي لانكلترا، للمزيد انظر : علي مولى، ج1، المرجع السابق،ص،407.

وهي معاهدة تجارية[1]،و يرى "يلماز أوزتونا" الدولة العثمانية وقعت المعاهدة من أجل تحالف عسكري ضد مملكة إسبانيا، التي أخذت تهدد لشمال الإفريقي [2]،فيما يرى "البحراوي" أن انكلترا هي من قامت بالدعوة إلى المعاهدة من أجل إقامة حلف ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة، مقابل حصول على امتيازات لرعايا العثمانيين[3].

وقد نصت معظم بنودها على مواضع مختلفة مثل أمن السفن والرعايا، وتجار ومسافرين، وأيضا حول الشهادة الشرعية والإعفاء من الخراج والجزية، وإظهار التعاون والصداقة[4]، ولكن من خلال هذه الامتيازات ، أصبحوا ينالون امتيازات مثل البنادقة والجنوبيين والفرنسيين[5]

وقد كانت هذه المعاهدة ذات تداعيات اقتصادية إذ أن انجلترا سوف تقيم شركة الليفانت[6] التي سوف تلعب دورا مهما في تجارة بلاد الشام والشرق الأدنى [7].

و المعاهدة الثالثة من حيث الأهمية هي **"معاهدة قينارجة"** (987هـ / 1774م) **مع روسيا:** في عهد **"عبد الحميد الأول"**[8]، وملكة روسيا التي كانت تهدف سياستها إلى التوسع وتحطيم الدولة العثمانية، فقد قامت

[1] سامي رائد حميد الدوري، المرجع السابق، ص، 1.

[2] يلماز أوزتونا ،المرجع السابق ، ص،393.

[3] رائد سامي حميد الدوري، نفس المرجع، ص، 8.

[4] انظر الملحق رقم 2.

[5] صالح احمد الهريدي، المرجع السابق ن ص، 22.

[6] **شركة الليفانت** : أقيمت في الشرق الأدنى ، في 11 ديسمبر 1581م، من طرف ملكة انكلترا ايليزابيث الأولى، من اجل التجارة في ايالات المشرق ، وأول من ترأس هذه الشركات "أوزبورون ، اعتنى بالأمور الاقتصادية للإنجليز في الدولة لعثمانية ،ليلى الصباغ، المرجع السابق،178.

[7] ليلى الصباغ، ج 1، المرجع السابق، ص، 178.

[8] **عبد الحميد الأول** : هو ابن السلطان احمد الثالث ولد سنة (1137 هـ-1724م) ارتقى العرش سنة 1774م، تزامن عصره مع الحرب الروسية، قام بتوقيع المعاهدة كوتتيشك كينارجه، التي أنهت الحرب الروسية. للمزيد أكثر أنظر : إسماعيل احمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط،1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996، ص، 123.

بملاحقة ثوار بولونيا الوطنيين في أراضي الدولة العثمانية[1]، وهذا ما أشعل فتيل الحرب بعد 28 سنة من الهدوء،وعليه أرسل العثمانيين ضابط تركي لكن روسيا رفضت طلب الهدنة وأرادت السلام فأرسلت الدولة العثمانية مندوبين[2]، وتم توقيع المعاهدة سنة 1774م في كينارجه[3].

ولو نظرنا إلى بنودها لوجدنا أنها أخذت النصيب الأكبر من الامتيازات السابقة رغم تأخرها، ماعدا التشابه في حق حماية الرعايا وحق المتاجرة وذلك في البندين السابع، و الحادي عشر[4].

وكذا في ما يخص زيارة بيت المقدس وهو نفسه الذي منحته لفرنسا بخصوص الحرب البحرية سنة 1553 م[5]، ويتجلى ترسيخ الجالية من خلال البند الذي نص على بناء كنيسة في غلطة [6] ونص البند السادس السادس عشر على مطالبة باستقلال القرم، وقوبان ....والاعتراف بها مستقلة [7]، وفي ما يتعلق بالتجارة فقد أخذت روسيا تسهيلات أبرزها حرية الملاحة في البحر الأسود والبحر المتوسط [8] كان هذا تمهيدا إلى ضعف

[1] عبد الرءوف سنو، **العلاقات الروسية العثمانية**، د ط، د د ن،د ب ن، د س. ص، 4.

[2] منصور بن معاضة بن سعيد العمري، **الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية (1121_1220 هـ/1709 _1805م)**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، ، إشراف، يوسف بن علي الثقفي،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم تاريخ وحضارة ،جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1431هـ/2010 م)،ص، 165.

[3] علي حسون المرجع السابق، ص، 84. "

[4] انظر الملحق رقم 3.

[5] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص، 82.

[6] **غلطة** : مكان إستراتجية ذات قيمة تاريخية (عهد بيزنطي عثماني) وهي مواجهة للقسطنطينية القديمة كانت مرفئا امن للسفن، كان بها التجار الايطالية (جنوه والبندقية البيازنة) طوال القرنيين، 11و12 م بفضل الامتيازات التي حصل عليها في العهد البيزنطي، إلى غاية العهد العثماني 23 مايو1543، وهي ألان جزء من وسط استانبول، انظر: ثريا فاروقي، **الدولة العثمانية والعالم المحيط بها**، ط 1، تر، حاتم الطحاوي، مر : عمر الأيوبي،، الدار المدار الإسلامي، لبنان، بيروت،2004م،ص،77.

[7] انظر الملحق رقم 3.

[8]Gastont de monicault, **L**a **question d'orient**, **le trait**, **de paris** (**1856–1817**), these doctorat, paris, 1896, p, 10.

الدولة العثمانية فقد كانت هذه المعاهدة نقطة تحول في العلاقات الدولية [1]،أثر فمي مصير الدولة العثمانية [2]، [2]، لأنها من خلال إعطاء السلطان المركز المخصص للبابا الكنيسة الكاثوليكية فأنها أعطت حق التدخل الروسي في شؤون الدولة العثمانية[3].

[1] عبد الرءوف سنو، المرجع السابق، ص، 4.

[2] ياسر عبد العزيز قاري،ج2، المرجع السابق، ص، 262.

[3] في حقيقة الأمر كان التدخل الروسي الرسمي في شؤون أهل الذمة كان في معاهدة **كارلفيز** في بلاد الشام و بها تم التنازل على بلاد المجر وإقليم ترانسلفاينا للنمسا ، وتنازل لروسيا على مدينة أزاق لروسيا و بها تم إنهاء المعاهدة النمساوية ، وكانت المعاهدة عهد شفهي من قبل الصدر الأعظم على أن تؤول كل الأماكن المقدسة إلى طائفة الروم.

المبحث الثاني: مظاهر نشاط الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية

المطلب الأول: النشاط الديني و الفكري.

المطلب الثاني: النشاط الاجتماعي و الاقتصادي.

المطلب الثالث: النشاط السياسي و الإداري.

المطلب الأول: النشاط الديني الفكري.

خلال تواجد الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية مارست عدة نشاطات، ورغم أنها أقلية وسط المجتمع العثماني إلا أنها حافظت على حياتها الدينية، وامتازت بنشاطها الفكري بشكل واضح.

I:النشاط الديني:

لم تضع الدولة العثمانية أي عقبات أمام رعاياها الأجانب وأتاحت لهم قدرا كبيرا من الحرية الدينية،[1] وقامت بتنظيم الشؤون الدينية وحرصت على إبعاد روح التعصب بين الطوائف.[2] ومن بين النشاطات:

1: استحداث الكنائس والمعابد:

كانت الدولة العثمانية ملتزمة بالحفاظ على الكنائس والمعابد وتسمح بترميمها،[3] وإذا شاءت إحدى الملل بناء كنيسة أو معبد أو ترميمها، لا بد عليها أن تحصل على فرمان سلطاني،[4] وكانت أي طائفة تتقدم للحصول على الإذن بالبناء تلتزم بما تصدره الدولة العثمانية بما تحويه فرماناتها من شروط لإعادة البناء، إذ يتم الكشف على المبنى المراد إعادة بنائه، ثم تصدر الدولة فرمانا بالموافقة على إعادة البناء وهو شرط أساسي.

ومثال على ذلك: أعطت الدولة العثمانية إذنا لطائفة الأرمن بإعادة بناء حائط دير "مار يعقوب" [5]، ومنحت

---

[1] احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 373.

[2] جيب هاملتون وهارلود بوون، **المجتمع الإسلامي واثر الحضارة الغربية في الفكر الإسلامي في الشرق الأدنى**، د ط، تر، عبد المجيد حسيب القيسي، دار المدى، 1997م، ص، 400.

[3] ستانفورد ج. شو، المرجع السابق، ص، 13.

[4] جوزيف ابو نحرا، **المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني**، المؤتمر الدولي، مركز الشرق المسيحي للبحوث والمنشورات CERPOC، جامعة القدس يوسف، 24-25 كانون الثاني، 2013، ص. 9.

[5] فاطمة سليم حماد الطروانة، المرجع السابق، ص، 5.

لطائفة الإفرنج الحق في إعادة دير مهدوم وأصدرت فرمانا للكشف عنه، ومنحت أيضا فرمانا بإعادة بناء الأماكن الواقعة بكنيسة القيامة ودير العامود في القدس[1].

وفي عام (1223هـ / 1808م) وبعد حرق كنيسة القيامة صدر فرمان من السلطان محمود الثاني[2] بإعادة ترميم كنيسة القيامة، كما شكلت لجنة لإعادة تعمير الكنيسة وبنائها، وعام(1224هـ / 1809م) صدر فرمان يسمح لطوائف النصارى بإنشاء الكنائس وتجديدها من واردات أنفاقهم.

وبعد إعلان خط شريف كلخانة عام(1255هـ-1829م) وخط التنظيمات الخيرية[3] عام(1273هـ-1856م) سمحت الدولة بإنشاء الكنائس وحرية إنشاء الأماكن الدينية بشرط موافقة السلطان، وتضمن ذلك عدة شروط منها:

- الكنيسة ترجع إلى الطائفة المذكورة منذ القديم، وألا تكون لها علاقة أو اشتراك فيها من قبل الطوائف الأخرى.

- لا تكون ضمن أراضي الوقف أو في محلة المسلمين، ولا يكون موقع بنائها يشكل مشكلة في الحاضر أو المستقبل.[4]

وكانت هناك بعض المشكلات المتعلقة بترميم وتجديد المعابد اليهودية، فكان بعض الفقهاء أو العامة يشكون

---

[1] فاطمة سليم حماد الطراونة، المرجع السابق، ص، 6.

[2] **محمود الثاني**:(1225 – 1119هـ / 1784 – 1839م)،ولي السلطة عام(1223هـ/ 1809م)، دبر للإيقاع بالانكشارية ففتك بهم وأبدلهم بالجند النظامي، كما انه ضرب العملة المعروفة (بالمتاليك) وفي عهده تدخلت الدول الأجنبية في شؤون حكومته الخاصة. انظر: محمد جميل جهيم. المرجع السابق، ص، 44.

[3] **التنظيمات الخيرية**: هي حركة الإصلاح العثماني التي أعلن عنها بقصر كلخانة باستانبول، وهي حركة تجديدية إدارية وسياسية، كانت تهدف إلى التقريب بين المجتمعات الغربية، وقد عرفت بهذا الاسم لأنها تميزت بتنظيم شؤون الدولة وفق أسس جديدة. انظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص، 75.

[4] احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 37 .

العامة يشكون إلى السلطات الحاكمة من أن اليهود زادوا في أبنية بعض المعابد، أو أقاموا سورا جديدا أو حولوا احد البيوت إلى معبد دون إذن بذلك.[1]

وكانت الدولة العثمانية تلزم رجال الدين بدفع غرامات مالية في حالة إعادة بناء الكنائس أو ترميمها دون إذن من السلطات العليا.[2]

وضمن هذه الكنائس والمعابد أجازت لهم إظهار شعائرهم الدينية مثل الصليب والناقوس وكذلك الاجتماعات الدينية، ومنعت إظهار شعائرهم خارج معابدهم ومنع استخدامها في الدعاية لدينهم ومعتقدهم.[3]

ولو لم تقف الدولة العثمانية في وجههم لتصرفوا كما لو كانت البلاد لهم وحققوا مآربهم وأهدافهم البعيدة المدى.[4]

2: المناصب الدينية.

1_ رجال الدين: وهم الرجال الذين غادروا أوطانهم واتوا ليستقروا على الأراضي العثمانية، وهم فئتان:

أولا: رجال الدين المرافقون للجاليات التجارية الأوروبية، وعددهم لا يتجاوز الاثنين لكل جالية، وقد أرسلتهم الهيئات المشرفة على التجارة في الوطن ليرضوا الحاجات الدينية والروحية لمواطنيهم، وكانوا يعملون في كنائس القنصليات، فيقيمون الطقوس الدينية أيام الآحاد وفي المناسبات والأعياد[5]، كما كانوا

[1] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص، 78.

[2] ليلى الصباغ، ج2، المرجع السابق، ص، 835.

[2] أحمد آق كوندوز وسعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص، 663.

[4] ليلى الصباغ، نفس المرجع، ص، 836.

[5] نفسه، ص ، 767.

يؤدون دور الحكم في كثير من الخلافات بين الجاليات أو بين مجموع الجالية والقنصل.

ثانيا: رجال الدين المبشرون المنتمون إلى فرق دينية مختلفة.[1]

2_ البطريرك: يقيم في مقر البطريركية ويتولى الإشراف على شؤون الطائفة الدينية، كما يتولى الإشراف على كل أوقاف الكنيسة التابعة له وأملاكها، وينتخب من قبل أعضاء الطائفة ويصادق على تعيينه بموجب البراءة السلطانية.

وفي أواخر القرن التاسع عشر وضعت الدولة العثمانية شروط لمنصب البطريركية، منها:

_ أن يكون بالغ السن ومن جملة الرهبان الحائزين على رتبة الأسقفية.

_ أن يكون عمل في إدارة منصبا لمدة سبع سنوات متوالية.

_ أن يكون من رعايا الدولة العثمانية وغير مشكوك فيه. و أن يكون عارف بعلوم الكنيسة وقوانينها.[2]

3– الشماس: أهم مسؤول في المعبد وهو الحارس الرئيسي للمعبد والمسؤول عن فتح وغلق الأبواب والمحافظة على الأمن العام، ويجوب الأسواق ويدعو الناس للصلاة كما يقوم بتنظيف تابوت المعبد ويضيء الشموع ويشرف على أماكن العبادة.[3]

4– الأسقف: أو المطران: يأتي بعد البطريرك ويشرف على الكنيسة داخل المدينة التي يعيش فيها[4]،

وهو من يمنح للشماس سر الكهنوت فيصير كاهنا، ويبقى السقف في منصبه مدى الحياة، ومن الشروط

[1] ليلى الصباغ، المرجع السابق، 768.

[2] أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص ص، 373-374.

[3] ستانفورد ج. شو، المرجع السابق، ص، 138.

[4] أحمد حامد إبراهيم القضاة، نفس المرجع، ص، 375.

التي وضعتها الدولة العثمانية لتولي هذا المنصب:

_ أن يكون من رعايا الدولة العثمانية. و أن يكون عمل في مدة لا تقل عن خمس سنوات.

_ أن يتقن العربية والتركية، ويكون عارفا بعلوم الكنيسة وقوانينها.[1]

5- الخوري: وهو المسؤول عن الرعية، ويقيم في الريف أو القرى التي يقيم فيها رعايا من أبناء طائفته، ويخضع للأسقف.[2]

6- الحران: هو المسؤول عن الصلاة، ويشترط فيه الإلمام بأحكام التلمود بالنسبة لليهود الربانين، وكان معلما ومؤلفا لأعمال دينية يتلوها أثناء صلوات السبت والأعياد ويقوم بالوعظ والخطابة.

7- الحبر: هو الذي يصدر الفتاوى، وكان له الأمر والنهي في كل الأمور الدينية، ولم يكن يتقاضى أجرا فكان من حقه أن يرتزق بالتجارة أو غيرها وان لم تكن له مهنة عينوا له راتبا.[3]

8- الراهب: وهو من حبس نفسه للعبادة، يقيم في الأديرة ويقضي وقته في تأملات دينية، ويعين من طرف البطريرك.

9- القسيس: هو من رؤساء النصارى في الدين والعلم، ولا يحق له الارتقاء إلى المراتب الدينية الأخرى ولا يحق له الزواج.[4]

10- الشليحصبور: وهو الإمام الذي يصلي باليهود في معابدهم.

---

[1] أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 375.

[2] نفسه، ص، 376.

[3] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص، 70.

[4] أحمد حامد إبراهيم القضاة، نفس المرجع، ص، 376.

11- الناسى(تاسييم): وظيفته أخلاقية، وهو السلطان الروحي على اليهود وتأثيره على الجماعات اليهودية ظل يتصاعد.

12- البارناسيم: يلي في المرتبة الشيوخ والعلماء والأعيان، وكانت مهمته الإشراف على المعابد.[1]

II-النشاط الفكري:

1-التعليم التبشيري (أنموذجا):

كان من المجالات التي نشط فيها الأجنبي في الدولة العثمانية، التعليم، الذي هو من النشاطات الفكرية وكان ذو صبغة دينية، ومن الأمور المسلم بها، أن التعليم عنصر أساسي من عناصر التعبير، التي تلجأ إليها المجتمعات والجامعات المختلفة، لصب ما تريده في عقول أفرادها و بالتالي في تشكيل شخصياتهم وبمدى التأثير في مستقبل المجتمع قدر التغيير الذي يحدث في شخصياتهم، يكون التأثير في مستقبل المجتمع ذاته وفي مسيرته، عبر التاريخ ، وكم من مجتمع تغيرت حياته و مسيرته بسبب ما أدخل على التربية و مناهجها[2]، ومن هذا المنطلق سوف نتحدث عن تعليم الأجنبي ومدارسه في الدولة العثمانية وبالتالي سنتحدث عن **التبشير** [3].حيث كان هذا الغرض الأول و الظاهر من هذه المدارس .

[1] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص، 71.

[2] فردوس بنت حافظ محمد جمال الدين، **دور السفراء العثمانيين و الفرنسيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، في تاريخ حديث ومعاصر، إشراف أميرة بنت علي وصيفي مداح، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية،قسم تاريخ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1434هـ_ 1435هـ / 2013- 2014 م)، ص، 246.

[3] **التبشير** : هو الذي يطلق على محاولات الدول الغربية على نشر الديانة المسيحية بين أتباع الديانات الأخرى سوا ء كانوا مسلمين أم يهود، وحتى بين المخالفين لهم في المذهب من أتباع الديانة المسيحية نفسها.أنظر: إيمان عبد الرحمان هياجنة و حنان ملكاوي، **التبشير الكاثوليكي الفرنسي في ولاية الأناضول في القرن 19م النشاط التعليمي أنموذجا**،م، الدراسات للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلد 4،ملحق2 ، 2014،ص، 287.

والمدارس الأجنبية التبشيرية[1] كانت تقوم بإنشائها الإرساليات[2] والبعثات الدينية الأجنبية وخاصة منهم الآباء العزاريون [3]، والمبعوثون الأمريكيون **اليسوعيون**[4]، وكانت فكرة إنشاء المدارس الأجنبية في استانبول تعود إلى القرن السادس عشر ميلادي، حينما فتحت مدرسة "القس بلو" الفرنسي وتكاد تكون أول مدرسة أجنبية في استانبول، وفي حلب[5] قام اليسوعيون بفتح مدرسة سنة 1631م في حي الجديدة من قبل "**الأب كبرو**"[6]، وكان إنشاء هذه المدارس متقدما على جميع المجلات الأخرى التي سلكها أهل الذمة لإقصاء الشريعة وهدم الإسلام من داخله قبل ظاهره[7].

ومن أهم الأسباب التي فتحت المجال أمام البعثات التبشيرية لمزاولة نشاطها خصوصا في لبنان هي طبيعة الدولة العثمانية العسكرية حيث كانت تركز على حماية أراضيها ومحاولة التوسع متى سمحت لها الفرصة

[1] **المدارس التبشيرية** : هي التي تخرج منها المبشرين وهي دور علم أنشأتها الكنائس و الأديرة المختلفة والتي تدرس وتكون المبشر ب دراسته لكتاب المقدس بقسميه و التاريخ القديم على الأخص، و بعضها لتهيئة للقيام بمهمة التبشيرية . للمزيد انظر،عبد الجليل جلبي،**الإرساليات التنصيرية**،د ط ، منشاة المعارف،الإسكندرية،د س. 149.

[2] **الإرساليات التبشيرية:** هي البعثات التي توفد من الكنائس المسيحية لتبشير الناس بالإنجيل وعلى الغالب حينما يوفدون الى الى بلد ما يقومن به كنيسة أو أكثر، و ينشئون أمامها مدرسة و مستشفى، كلاهما للتبشير من أجل إدخال الناس إلى المسيحية . للمزيد انظر عبد الجليل جلبي، نفسه،نفس ص.

[3] بشير فايد ، **قضايا العرب في أثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير أرسلان**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه ، إشراف، عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية،قسم تاريخ و الآثار ،جامعة منتوري، قسنطينة، (1430-1431هـ/ 2009-2010م)، ص، 74.

[4] **اليسوعيون:** هم من فرق الإرساليات وهي من أهم البعثات التي كانت لها نشاط كبير في التبشير،وهي تقوم على مجموعة من رحال الكاثوليك منوعي الثقافة، وقد بدأ عملها في باريس، ومؤسس هذه الجماعة هو إجناتياس لو بلا .للمزيد أنظر:عبد الجليل شلبي المرجع نفسه،ص،184.

[5] **حلب**: مدينة تقع شمال غرب سوريا وهي ذات أهمية سياسية وعمرانية ، ولباض أراضيها لقبت بالشهباء بسبب العديد من الآثار الإسلامية كالمسجد الجامع ،دخلت في أملاك الدولة العثمانية بعد معركة مرج دابق سنة 1516م،وأصبحت إيالة مستقلة عام 1546م،بالاقتصاد في القرن السادس عشر والسابع عشر من خلال التجارة التي سادتها خصوصا بعد الامتيازات الأجنبية

[6] الغزي الشيخ كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، ط1،ج2،دار العلم العربي، حلب،1342هـ ،ص،536.

[7] إيمان عبد الرحمان هيجانة و حنان ملكاوي، المرجع السابق، ص،106.

وهذا ما يفسر الاهتمام بالقوة العسكرية وتعزيزها وضمان المقاطعات الخاصة بالإمبراطورية[1]،وبالمقابل استعمل المبشرون جميع الطرق في سبيل التبشير : من تعليم و وعظ و تطبيب ونقل الكتب من لغة إلى لغة، فكلها موجهة إلى خدمة التبشير [2]، لكن المبشر الأول المدرسة[3].

وقد اتسمت المدارس الأجنبية بارتباطها مع الكنائس، فكانت ملحقة بها، إضافة إلى ذلك نجد سكن الطالب والمطاعم وقاعة المحاضرات والفصول الدراسية كانت مزينة بالصورة القديس و كبار رجالات الدين، النصرانيين و الغرف الفسحة وفصول الدراسية كانت مزينة بالصليب[4].

وماساعد على انتشار هذه المدارس هو نتاجها العلمي، من حيث المواد الحديثة،كالرياضيات الكيمياء الحقوق، الاجتماع والرسوم[5]،لكنها كانت هذه الإرساليات و المدارس تنشر ثقافته أوطانها وكانت تركز على اللغات الأجنبية[6]، و عامل آخر، وهو مجانية التعليم، وعدم الرقابة الحكومية دون محاولة تذكر للسيطرة إلا عام (1326 هـ/1908م)، ولا على الطريقة التي كان يدرس بها المبشرين.

وفي مجانية التعليم كانت هناك جهتين مهمتين وهما فرنسا وايطاليا كانتا تخصصان سنويا مبلغ معيينا فلأولى خصصت مليون ومائتي ألف فرك ،كانت تتحملها وكالة البابا لدعاية والإعلام والثانية مليون

[1] بشير فايد، المرجع السابق ،ص،74.

[2] مصطفى خالدي و عمر فروخ، **التبشير و الاستعمار في البلاد العربية**،ط،3،المكتبة العصرية،بيروت،(1372هـ/1953م)،ص،84.

[3] المرجع نفسه، 81.

[4] .ماجد بن صالح المضيان ، المرجع السابق صن112.

[5] مصطفى خالدي ، عمر فروخ، نفس المرجع،82 .

[6] عبد الرؤوف عباس حامد ، **تطور الفكر العربي الحديث، موسوعة الثقافية التاريخية والأثرية والحضارية** ،تاريخ حديث ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، د ط، د د ن ، د س ، ص ص، 7، 8. .

فرنك .[1]وتعتبر لبنان من أكثر الأماكن انتشارا للمدارس لأنها بلد متعدد الطوائف

وكانت مدرسة "**بطرس البستاني**"[2] المسماة ب: "الكلية الوطنية" هي أول المدارس في لبنان عام 1863م،ومدرسة أخرى وهي مدرسة البطريركية لروم الكاثوليك عام 1865م و"مدرسة الحكمة" للمطران سنة 1865م، فهذه مدارس وطنية لكنها تابعة إلى الطوائف المسيحية [3]، أما التبشيرية نذكر : المعهد البريطاني في بيروت la college partial grace catholique de Bayreuth ، والمعهد الجهوي لزحلة la collège régional zahal، ومدرسة الأطباء الثلاثة ببيروت l école de trois docteurs de Beyrouth، ومدارس البنات الأمريكية ومدارس الراهبات، والكليات اليسوعية ، وغيرها من المدارس [4].

ويكمن أن نقول أن هذه المدارس أثرت على عقول أفراد البلاد، فمثلا الإرساليات الأمريكية كان لها دور فعال في إشعال الفتن الطائفية، إضافة إلى ذلك كانت الإرساليات تغذي فكرة القومية في المدارس التابعة للدول الاستعمارية خاصة في بلاد الشام [5]، وتكمن خطورة التعليم الأجنبي فني المنهاج المعتادة وطبيعة المدرسين فلمناهج كانت تضعها هيئة خاصة في المدارس الرومية التابعة للبطريركية الرومية، مكون من 4 أعضاء روحانيين 4 أعضاء جسمانيين، وهي تشبه المناهج اليونانية غير فارق بسيط، وهي اللغة التركية

[1]ماجد بن صالح المضيان ، المرجع السابق،ص ص، 116-117.

[2]**بطرس البستاني**: هو من أعيان لطائفة لمارونية ، ولد سنة 1819م توفي 1883م تعلم اللاهوت الأدبي و النظري وتعلم اللغات خصوصا السريانية لاتنية و الايطالية كما انه قام ب السفر من اجل طلب العلم وبعد وفاة والد واصل مسيرته في بلده وعين معلما في مدرسة عين الورقة وفي سنة 1840م أسس مدرسة مستعينا بأصحاب الترجمة، وألف كتاب في مجال الحساب سماه كشف الحاجب ، للمزيد انظر جرجي زيدان ، **تراجم المشاهير في القرن التاسع عشر ميلادي ، ج2**، د ط، هنداوي للتعليم والثقافة ، جمهورية مصر 2011، ص،38- 44.

[3].بشير فايد المرجع السابق، ص ، 74.

[4].نفسه ، نفس الصفحة.

[5]. أماني بنت جعفر بن صالح الغازي ، المرجع السابق، ص، 155.

في المدارس الرومية باستانبول، وكذا الحكومة الايطالية تعد لمدارسها مناهجها، وكانت المناهج وفقا لما يوجد في دولها، ورغم أن فرنسا تأثرت بالثورة الفرنسية التي تحث فصل الدين عن الدولة لكن مدارسها لم تنفصل عن النصرانية و لاعن التنصير [1].

وعن المدرسين تجدهم كلهم من الرهبان و القساوسة سواء كانوا نساء أو رجال [2]، وكلهم أجانب وإذا دعت الحاجة إلى وطني وجب أن يكون مسحيا بدرجة الأولى ومتمرنا على التبشير [3]، وبفضل هذه المؤسسات العلمية التبشيرية تغلغلت أفكار سياسية جديدة في الدولة العثمانية ومن أهم المؤسسات التعليمة التي تقتضي الإشارة إليها "جامعة جوزيف" التي أسستها فرنسا عام 1870م والتي كانت مقدمة الاستعمار [4].

وقد ساعدت حركة الترجمة على نشر الكتب المدرسية ومنه نشر أفكارهم[5].

وكان التعليم العالي من أهم درجات التعليم لأنه يحتوي على الطبقة المثقفة ويسهل الوصول إليها والى أفكارهم [6].

أما عن اليهود فقد ذكر ستانفورد شو في كتابه "يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية "على أن التعليم الابتدائي كان من الأولويات، وذكر أن الأب ملزم بدفع الرسوم الخاصة بالتعليم ،كما ذكر أن المدرسة إما قريبة آو ملاصقة للمعابد ، وأهم ما يتعلمونه :اللغة العبرية و الصلوات و التوراة، وقال على أن

[1].ماجد بن صالح المضيان ،المرجع السابق ،، ص 114.

[2].نفسه،ص، 112.

[3].مصطفى خالدي ، عمر فروخ ،المرجع السابق ،71.

[4] إيمان عبد الرحمان هيجانة و حنان ملكاوي ،المرجع السابق،ص، 728.

[5]ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق ،ص، 204.

[6]مصطفى خالدي،عمر فروخ ، نفس المرجع، ص،89.

المتمكنين يسمح لهم بالدخول إلى الفصول خاصة القضاء و العلوم الدينية، وكانت تدار هذه المدارس من قبل الحاخامات المحليين والمتعلمين وكانوا يدعمون من قبل الأثرياء والطلاب أنفسهم[1].

ولقد تم إرساء حركة التنوير الغربية في أواسط يهود الدولة بعد أن تأسست خلال منتصف القرن 19م العديد من المدارس والصحف وغيرها، وكان "فرانكل" في عام 1856 قد أسس مدارس حديثة في فلسطين[2]، وقد ورد كتاب صموئيل أتينجر على أنه اتضح من خلال المصادر اليهودية التي تناولت التعليم في العهد العثماني خلال القرن التاسع عشر أنه كان مستوى المدرسين متدني[3] وهذا ما يدل على فشل المدارس اليهودية مقارنة بالمدارس المسيحية .

2-ثقافيا :

كان بديهيا أن يساير هذا التطور التعليمي تطور صحفي من نفس تلك الفئة التي كان لها السبق في مجال التعليم وهم النصارى خاصة[4]

إذ تعتبر الصحافة نتاج فكري إعلامي ثقافي يصدر عن عقل إعلامي جمعي يصور نفسه ومجتمعه ويحكي ما يدور في داخل هذا المجتمع محليا وعالميا وما يتأثر به من مؤثرات خارجية [5]،وقد نشرت أول صحيفة في الدولة العثمانية لأحد الأثرياء اليونانيين سنة (1227هـ /1780م) وكانت على الطراز

[1] ستانفورد ج. شو ، المرجع السابق ،ص،145.

[2] صموئيل اتينجر، **اليهودية في البلدان الإسلامية**، (1850- 1950م)، تر، أحمد الرافعي، مر،رشا عبد الله الشمامي ، د ط، دار المعرف، الكويت د س، ص،238.

[3] نفسه، ص239.

[4] ماجد بن صالح المضيان ، المرجع السابق ،ص،22.

[5] عبد العزيز شرف ، **الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة**،ط1، عالم الكتب ،القاهرة،(1452هـ/2014م)، ص،24.

الأوروبي،وهي" ديوجون"[1].وكانت أول صحيفة يهودية نشرت سنة (1306هـ/1888م) من قبل المعلم abderahme danon ،وكانت هذه الجريدة تصدر كل شهرين في "ادرنة" وهي: yasef ha daal،وهي بالغتين، الاسبانية اليهودية والعبرية[2]

وقد صدرت عدة صحف ومجلات في البلاد العربية للدولة العثمانية ونذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر صحيفة "نفير سوريا" "لبطرس البستاني" سنة 1860م[3]،وقد اصدر من نفس السنة "مجلة الجنان" التي كان في مضمونها ضرورة إقامة حكم عادل وصالح ،بدل الحكم الفاسد الذي كان سببا في تخلف الشرق ، و لا يمكن لذلك الحكمان يقوم إلا بمشاركة جميع الديانات و أن يتم الفصل بين الدين والدولة ،والفصل بين السلطتين القضائية و التنفيذية وعلى أن يكون التعليم إجباري وعلى أن يتم التركيز على تقوية الشعور الوطني بين أبناء البلاد[4].

وكانت صحيفة أخرى وهي "أخبار عن انتشار الإنجيل في أماكن مقدسة"، وهي دينية ذات ثمانية صفحات، وكان أول ظهور لها في غزة سنة 1866م،وهي تنشر المذهب البروتستانتي ، مع إذاعة أخبار المبشرين وأعمالهم ، وكان لليسوعيين الآباء جريدة "البشير"، وكانوا يعتبرون أن الصحافة تسد الرذيلة وتنشر الفضيلة[5]

[1] ياسر بن عبد العزيز قاري،ج2، ،المرجع السابق ، ص،525.

[2] ستانفورد ج. شو، المرجع السابق ، ص،294.

[3] القيكونت فليب دي طيرازي ، **تاريخ الصحافة العربية ج1،د ط**، المطبعة الأدبية،بيروت ،1913م،ص،64.

[4] عبد الرؤوف عباس، المرجع السابق ، ص ، 43.

[5] القيكونت فليب دي طرازي نفس المرجع، ص ،12.

وكانت جريدة shaaretzion اليهودية الأولى في فلسطين وكانت تنشر أسبوعيا منذ عام (1287هـ / 1870م) الى غاية (1302هـ /. 1884م)[1]، وقد تحدث ستانفورد شو عن الصحافة اليهودية في كتابه آنف الذكر.

ومن مميزات الصحافة أنها كانت تنشر دعوة المؤسس و الترويج لأفكاره الدينية أو الطائفية أو القومية [2]، وقد عكست الصحف التبشيرية التي كانت تحرر بواسطة القساوسة و المبشرين الأمريكان ن اهتمام البعثات التبشيرية في بلاد الشام واهم هذه الصحف : "مجموعة الفوائد" وهي مجلة عربية اللغة صدرت في سوريا واستمرت الصدور حتى عام 1855م[3].

وقد أصدر "السلطان عبد المجيد" لائحة لتعليم المطابع بقوانين رادعة،حتى لا تصبح المطابع وسيلة للإضطرابات جديدة ،وكان ذلك بعد تفطنه إلى كثرة الصحف في فترة مابين 1840م إلى غاية 1865م[4].

وعند الحديث عن الثقافة لا يمكننا أن نستغني عن الطباعة ، فكانت أول مطبعة في لبنان سنة 1610م أي في بدايات القرن السابع عشر ، في دير "قزاحيا" بأعجاز من البابا الماروني والتي طبعت كتاب المزامير بالغة السريانية واللغة العبرية[5].

---

[1] ستانفورد ج شو، المرجع السابق ،295.

[2] بشير فايد، المرجع السابق،ص ، 72.

[3] محمد احمد ، **الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني (1876.1918م)**، م،جامعة دمشق ، ع 1و2 ،مج 27.،2011م، ص318.

[4] نفسه، ص ، 319

[5] بشير فايد المرجع نفسه، ص ، 75.

وأول مطبعة سريانية في طرابلس الشام كانت التي جلبتها الطائفة المارونية من روما [1].

و قد جلب البطريك "اثناسيوس دباس" عام 1766م مطبعة إلى حلب من بوخارست وكانت تقتصر فقط على الكتب الدينية ، ولم تظهر طباعة عربية في دمشق إلا بعد صدور فتوى من شيخ الإسلام[2] " عبد الله أفندي"، بإجازة طبع كتب الدين عام 1727م[3].

ويعتبر تأسيس المطبعة الأمريكية في بيروت 1834م أكبر حدث في مسار حركة الطباعة بالمنطقة، إذ أثرت في تزايد عدد الكتب المدرسية وبتالي زيادة نشر الأفكار الغربية[4].

وقد أصبحت هذه المطابع توفر الكتب، بعدما كانت حكرا على فئة قليلة من المتعلمين بالأديرة و الكنائس ، وزوايا ، والمدارس الدينية كما أن لها أثر واسع سياسي و اجتماعي ، من التطلع على الثقافة والحداثة ، والاكتشافات العلمية القادمة من أوروبا ومدى حرصهم على إصلاح الأوضاع الاجتماعية والتعليمية [5].

وفي مجال الترجمة فقد اهتم اليهود والنصارى بها وقاموا بترجمة الكتب ، والأعمال الأدبية، والتاريخية التي عزف المسلمون عن الاضطلاع بها، مما أدى بإلحاق الدولة العثمانية بركب الحضارة المادية الأوروبية[6].

---

[1] محمد أحمد، المرجع السابق، ص، 323.

[2] **شيخ الإسلام** : هو الشخصية الثالثة في الدولة العثمانية من حيث الأهمية، ، ولقد كانت الكلمة الأخيرة في القضايا الحقوقية والدينية ، تعود إلى شيخ الإسلام ، وكانت القضايا الحياتية . والدنيوية للدولة تعود إليه ، الحكومية للمزيدأكانظر: اكرم كيدو، **مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية** ، تر،حاتم الأيوبي،ط1، جورس برس، لبنان (1413هـ/1992م)، ص 7.

[3] محمد أحمد ، نفس المرجع ،ص ،323.

[4] بشير فايد، المرجع السابق ، ص،75.

[5] محمد احمد،نفس المرجع ،ص، 323.

[6] ياسر عبد العزيز قاري ج2 ، المرجع السابق ،ص، 526.

وقد ترجمت العديد من الكتب الفرنسية إلى العربية والتركية، كما ترجم النداء الفرنسي إلى التركية، عام 1846م[1]، ترجمت المواضيع الأدبية الغربية أمثال: فينليونوفون و فونتنينبل وفولتير التي تناولت مواضيع مثيرة وغريبة عن المجتمع العثماني، مثل الحرية و حب الوطن[2].

وقد قام الحاخام اليهودي"يهودا نجاما" بترجمة العديد من الأعمال التاريخية إلى لغة اللادينو التي كانت شائعة في أواسط يهود تركيا، كما انه ساهم كثيرا في التعليم والصحافة[3].

وعن الفن _كما يقال_فأن رعية السلطان من الطائفة الأرمينية هي أول من أسس المسارح وبالتحديد في استانبول وكانت هذه المسرحيات تنقل نمط الحياة الفكر الأوروبي والتي اقتبسوها عن فيكتور هيجو و موليير ، وكانت تتحدث عن الحرية وحب الوطن والعدالة ، وقد انخرط مجموعة من المسلمين في تمثيل تلك المسرحيات[4].

وفي الأدب و الأشعار المسيحية كان هناك الشعر العامي ونذكر على سبيل المثال، القس "حنينا" الذي يتفنن في نضمه، حيث كتب قصيدة الخمارة و قصيدته الزجلية الشهيرة [5]،وقد عبر ستانفورد شو عن الثقافة والصحف لليهود في القرن التاسع عشر والعشرين بالصحوة اليهودية وقال أنها حاملة التجديد ، وتمثلت في الأدب اليهودي الشائع المكتوب بلغة Judezme اللغة الاسبانية اليهودية.

[1] ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق ، ص ،204.

[2] ياسر عبد العزيز قاري، المرجع السابق، ص،527.

[3] صموئيل اتينجر، المرجع السابق، ص ص، 234- 235.

[4] ياسر عبد العزيز قاري، ج2، المرجع السابق، ص ، 525.

[5] لويس شيخو ، **تاريخ الآداب العربية**، د ط، د د ن ، د س. ص، 33.

وتطورت هذه اللغة التي تكونت بامتزاج اللغة العبرية والتركية في استعمالات الترجمة، والصرف[1]،

وفي مجال الراويات و الأدب نجد أن المجلات والصحف اليهودية تحمل بشكل مسلسل روايات العشق الأشعار والقصص، والموضوعات مختلفة بداية من التقليد الشعبي اليهودي والأغاني الشعبية، والأعياد من التاريخ وكانت تترجم هذه الأعمال إلى العبرية من أجل قراءتها من طرف يهود العثمانية [2].

[1] ستانفورد ج. شو ، المرجع السابق ص ، 285.

[2] نفسه ، ص، 285.

المطلب الثاني: النشاط الاجتماعي والاقتصادي

I: النشاط الاجتماعي

حافظت الدولة العثمانية على الخصوصيات الاجتماعية للجاليات الأجنبية وراعت حقوقهم مستندة إلى الدين الإسلامي وما شرعه من حقوق باعتبارهم من أهل الذمة، ومن بين هذه الخصوصيات:

1- الأعياد والطقوس: كانت الأعياد والطقوس تميز الجاليات عن سائر المجتمع، وتمثلت فيما يلي:

- عيد الفصح أو عيد القيامة: هو العيد الكبير لدى النصارى، ويكون مع نهاية صومهم الأكبر لقيام المسيح بعد صلبه بثلاثة أيام، ويحيي بعضهم بعضا بقولهم: "المسيح قام" فيجيبون "حقا قام"،[1] وكان القاضي والباشا يتقاضيان رواتب من المسيحيين الذين يزورون مدينة القدس في عيد القيامة إضافة إلى دفع رسوم حماية الطرق عند زيارة مقام النبي موسى، وكان يتراوح عددهم بين الخمسة والعشرة آلاف.[2]

- خميس العهد أو عيد العدس: يحتفل به قبل ثلاثة أيام من عيد الفصح، وفي هذا اليوم يغسل البطريرك أرجل الحاضرين من النصارى في ذكرى غسل المسيح لأرجل تلاميذه ليعلمهم التواضع

- عيد الميلاد: يحتفل به في 25 كانون الأول / ديسمبر من كل سنة في كنيسة العهد[3]، حيث يروى أن مريم عليها السلام لما لجأت إلى جذع النخلة اشتد عليها البرد، فقام يوسف بوضع الحطب كحظيرة من حولها

[1] أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 428.

[2] كارين أرمسترونغ، **القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث**، تر، فاطمة نصر ومحمد عناني، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1998م، ص، 539.

[3] أحمد حامد إبراهيم القضاة، نفس المرجع، ص، 430.

وأشعل فيها النار فدفئت.[1]

– **عيد الصليب**: يحتفل به في 14 أيلول/ سبتمبر من كل عام في ذكرى العثور على خشبة الصليب التي كان يعتقد أن المسيح صلب عليها في مغارة الصليب الواقعة في الطابق السفلي من كنيسة القيامة.

– **عيد الزيتونة أو الشعانين**[2]: يحتفل به يوم الأحد، قبل أسبوع من عيد الفصح، وهو يرمز إلى ذكرى دخول المسيح عليه السلام مدينة القدس قبل موته بخمسة أيام،[3] وكانوا يحملون شجرة زيتون من الكنيسة التي بالعازرية إلى كنيسة القيامة، وتزين الكنائس بأغصان الزيتون وقلوب النخل.[4]

– **عيد البشارة**: أي بشارة جبريل عليه السلام للسيدة مريم بمولد السيد المسيح، ويوافق 25 آذار/ مارس.[5]

– **عيد رأس السنة**: يحتفل به في بداية كل سنة تعبيرا عن الشكر لله على النعم ورجاء الخير في السنة الجديدة.

– **عيد الغطاس**: يحتفل به في 6 كانون الثاني/ يناير في ذكرى تعميد يحي بن زكريا للسيد المسيح،[6]

---

[1] آدم ميتز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، تر، محمد عبد الهادي أبو ريده، ج2، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د س، ص. 287.

[2] **الشعانين**: كلمة سريانية ومن المحتمل أن تكون اللفظة عربية، مشتقة من السعنة وهي عسيب النخل والمظلة المتخذة منه. انظر: احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 432.

[3] نفسه، ص، 432.

[4] آدم ميتز، نفس المرجع، ص، 284.

[5] فاطمة مصطفى عامر، **تاريخ أهل الذمة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص، 358.

[6] احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 434.

وسمي بعيد الغطاس لان كثيرا من النصارى كانوا يغطسون في نهر النيل.[1]

–عيد سبت النور: وهو السبت الذي يلي يوم الجمعة، وهي الجمعة التي صلب فيها المسيح ويعتقد المسيحيون أن النور في هذا اليوم يتجلى على قبر السيد المسيح في كنيسة القيامة ببيت المقدس.[2]

– عيد رأس السنة: أو رأس هاسا، وموعده أول تشري احد شهور اليهود المصادف ل 2 أيلول، وكان الربانيون يحتفلون به بنفخ الأبواق أثناء الصلاة في المعابد.[3]

– عيد الكبور أو الغفران: يصادف 9 تشري، ويتم صيام هذا اليوم لاعتقاد اليهود أن هذا اليوم يتم الأربعين الثالثة التي صامها النبي موسى عليه السلام.[4]

– عيد المظلة: يحتفل به في 15 من شهر تشري، ويستمر سبعة أيام.[5]

– عيد الفصح أو الفطير: يصادف 15 من شهر نيسان/ أفريل، يدوم أسبوعا كاملا، وفيه يحج اليهود إلى بيت المقدس، أما السامرة فيحجون إلى جبل جرزيم بنواحي نابلس ويضحون على صخرته.[6]

– عيد الأسابيع: ويسمى بالعبرية (عشرتا) وموعده في 6 من شهر سيوان/ 3 أيار، ويجب أن يصادف عند الربانيين يوم ثلاثاء أو خميس أو سبت.

– عيد الفوز: موعده 13 أو 9 من شهر آذار ويستمر حتى 15 من نفس الشهر.

---

[1] آدم ميتز، المرجع السابق، ص، 289.

[2] فاطمة مصطفى عامر، المرجع السابق، ص، 361.

[3] يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص، 29.

[4] فاطمة مصطفى عامر، نفس المرجع، ص، 395.

[5] يوسف نعيسة، نفس المرجع، ص، 29.

[6] فاطمة مصطفى عامر، نفس المرجع، ص، 394.

– عيد الحنكة أو الحانوكة: ويعرف أيضا بعيد التنظيف، ويحتفل به في 25 من شهر كسلي كسليف/ كانون الأول.[1]

كما أن الجاليات الأجنبية كانت تقيم احتفالات أخرى مثل: وصول باشا جديد، زيارات السلطات الحاكمة، إقامة قنصل جديد، استقبال السفير أو مفتش الاسكالات.[2]

وإضافة إلى الأعياد والطقوس نلمس مظهر آخر من مظاهر خصوصيات الجاليات الأجنبية، والذي يتمثل في:

2– مقابر الجاليات:

كان الموتى يحملون إلى قبورهم بين طلقات مدافع المراكب الراسية في الموانئ لان الدولة العثمانية كانت تمنع قرع الأجراس، وكان للتجار الأجانب مقابرهم الخاصة، ففي صيدا مثلا كانوا موتاهم في مقبرة الكاثوليك،وفي بيروت كانت مقبرة الفرنسيين قائمة في باحة الكنيسة المشتركة بين اللاتين والموارنة، وموتى الانجليز كانوا يدفنون عادة في المقابر الرومية أي مقابر المسيحيين.[3]

وكانت عادة اليهود كتابة بعض المعلومات على ضريح المتوفي باللغة العبرية (اسم المتوفي، بعض الآيات من العهد القديم، نقش النجمة السداسية)، كما خصص اليهود مدافن خاصة لحاخاماتهم في مقابر منعزلة، وأقام اليهود في مقابرهم كنسا صغيرة لإقامة صلواتهم الجنائزية.[4] واختلفت مراسيم الدفن

[1] يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص، 29.

[2] ليلى الصباغ، ج2، المرجع السابق، ص، 690.

[3] نفسه، ص، 668.

[4] يوسف نعيسة، نفس المرجع، ص ص، 4، 41.

حسب عادات كل معبد، ويفترض دفن أفراد الأسرة الواحدة بالقرب من بعضهم البعض قدر الإمكان.[1]

3- الميراث: تركت الدولة العثمانية لرجال الدين غير المسلمين الحرية الكاملة في إدارة شؤون الميراث، فلم تكن تتدخل في توزيع الميراث، وكانت تركة المتوفي توزع أمام القاضي على الورثة المسجلين في دفاتر النفوس.[2] وكان إذا توفي احد أفراد الجالية فان مخزنه وكتبه ودفاتره وماله تختم بالشمع الأحمر حتى انتهاء دفنه، ثم تسجل من قبل المستشار قبل أن تسلم وصيته إلى منفذيها.[3]

4- الزواج: حرص النصارى على إطالة فترة الخطوبة للتمازج، واختلف المهر من امرأة إلى أخرى ومن طائفة إلى أخرى، وجرت العادة أن يختار يوم الأحد للاحتفال بالزواج وقبل ذلك يقيمون سهرات ليلية تمتد إلى يومين أو ثلاث، وكانوا يثيرون بذلك غضب المسلمين، وحرصا من الدولة العثمانية على حفظ الأمن أصدرت قرارا بمنع ذلك، ولكن بعض النصارى لم يلتزموا بهذا القرار مما اضطر القاضي إلى سجن أهل العريس والموسيقيين.[4]

وكانت عادة اليهود عندما يتمون الخطبة يكتبون ما يسمى (قنيان) أي عهد، وفي اليوم المحدد تنعقد جمعية يسمونها (كتبة)، وبعد ثلاثة أيام تكون حفلة الزفاف التي تعرف باسم (قدوس) وتدوم سبعة أيام كاملة.[5]

5- اللباس: خضع المسيحيون واليهود إلى قيود في اللباس، فألزم المسيحيين بلبس قبعات سوداء واليهود

[1] ستانفورد ج شو، المرجع السابق، ص، 142.

[2] نفسه، ص، 15.

[3] ليلى الصباغ، ج2، المرجع السابق، ص، 668.

[4] احمد حامد ابراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 143.

[5] يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص، 35.

قبعات حمراء،[1] وكان الرجال من اليهود يلبسن سترة داكنة ذات أكمام واسعة فوق قفطان، أو بنطلون واسع ملحق بشال ملفوف، وعلى رؤوسهم طواقي اسطوانية واسعة.

وكانت النساء اليهوديات تلبسن عباية طويلة داكنة ذات شلوار واسع يغطي رؤوسهن.

وفي القرن الثامن عشر في استانبول لبس أكثر الرجال من اليهود الطرابيش البنفسجية، فكانت تصدر الأوامر والتنبيهات إلى "الصوباشي" والى القضاة لمتابعة قواعد عدم ارتداء الأجانب لما يشابه لباس المسلمين، لان المسلمين قد اشتكوا من ذلك.[2]

إلا أن هذه القيود خفضت في عهد السلطان "محمود الثاني" فاصدر عام (1245هـ / 1829م) مرسوما اوجب جميع موظفي الدولة لبس الطربوش والتخلي عن القلنسوة والعمامة مع استثناء رجال الدين من كافة الطوائف.[3]

6- القضاء: لم تتدخل الدولة العثمانية في محاكمة الأجانب، وكان السفير أو القنصل هو الذي يفصل في النزاعات التي تقوم بين أفراد الجالية استنادا إلى قوانين بلادهم[4]، ويمكننا أن نرى بوضوح في الفرمانات والمراسيم السلطانية الممنوحة لرؤساء الطوائف عند تعيينهم، تلك الصلاحيات القضائية التي كانت ممنوحة كامتيازات من الدولة العثمانية[5].

صدر نظام المحاكم النظامية عام (1288هـ / 1872م) والتي قسمت بموجب الدولة العثمانية

[1] جوزيف أبو نهرا، المرجع السابق، ص. 8.

[2] ستانفورد ج شو، المرجع السابق، ص، 154.

[3] احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 165.

[4] ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص، 74.

[5] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، المرجع السابق، ص، 207.

إلى:

- محاكم الدرجة الأولى ومهمتها رؤية الدعاوى بداية.

- محاكم الدرجة الثانية ومهمتها رؤية الدعاوى بداية واستئنافا.

- أما الدعاوى التجارية فتنظر فيها المحاكم التجارية التي توجد في الألوية.[1]

وأحيانا كانت محكمة الباب العالي تفصل في المنازعة بين أجنبيين بالباب العالي وذلك بمحض إرادتهم.[2]

ومثال على ذلك: فقد حدثت عدة حالات طلاق داخل المحكمة الشرعية ويعود ذلك لعدة أسباب:

- إن الدولة العثمانية تركت الباب مفتوحا لغير المسلمين في الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، لأن معظم طوائف النصارى لا تجيز الطلاق، لذلك لجا بعض أفرادها إلى المحاكم الشرعية التي تجيز الطلاق لأن الشريعة تسمح للمرأة بالحق في الزواج بعد طلاقها من زوجها.[3]

وإذا كانت القضية بين مسلم وأجنبي فان المرجع القضائي المخول للنظر فيها، هو المحاكم الإسلامية، ويجري تطبيق أحكام القوانين الإسلامية في القضايا بما يوافق القاعدة العامة.[4]ومن هنا يتضح لنا أنه ولأول مرة في التاريخ الإسلامي تسمح سلطنة دينية وخلافة إسلامية بأن يحكم الأجانب أنفسهم[5].

[1] احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 231.

[2] ماجد بن صالح المضيان، نفس المرجع، ص، 74.

[3] احمد حامد إبراهيم القضاة، نفس المرجع، ص ص، 14-148.

[4] أكمل الدين إحسان أوغلى، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر، صالح سعداوي، ج1، د ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1999م، ص، 501.

[5] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، المرجع السابق، ص، 208.

II: النشاط الاقتصادي.

مارست الجاليات الأجنبية نشاطها الاقتصادي مثلها مثل بقية أفراد المجتمع العثماني، ولم تفرض الدولة العثمانية أي قيود على الجاليات في مزاولتهم للأنشطة الاقتصادية التي كان بعضها يصدر إلى الخارج وبعضها كان ينتج لسد الحاجات الأساسية للسكان.

1- التجارة:

إن تجارة الجاليات الأجنبية أو التجارة العالمية كما أطلق عليها **"روبير مانتران"** لعبت في حياة البلاد الاقتصادية بل في حياة الإمبراطورية العثمانية دورا هاما،[1] واحتل الأجانب في الحياة الاقتصادية مكانة اكبر،[2] ويتضح ذلك من خلال سجلات المحاكم فيما يتعلق بتركات الأجانب، [3]كما أن الدولة العثمانية تبنت "النظرية الاقتصادية" وأطلقت حرية التجارة في إمبراطوريتها لدول أوروبا ومنحت لهم العهود والمواثيق.[4]

كان التجار الأجانب غالبا ما يتعاملون مع موظفين مؤقتين (أمين) أو مع ملتزمين (جباة الضرائب)[5]

وكانوا يقومون بأعمال الوكالة لدى زملائهم الأوروبيين[6] التجاريين لبيع البضائع[7]

---

[1] ليلى الصباغ، ج1، المرجع السابق، ص، 344.

[2] أندري ريمون، **الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر**، ج2، تر، ناصر احمد إبراهيم، ط1، المكتبة الأعلى للثقافة، 2005م، ص، 674.

[3] انظر الملحق رقم 9.

[4] ليلى الصباغ، نفس المرجع، ص ص، 344-345.

[5] ثريا فاروقي وآخرون، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية (1600-1914م)**، مج 2، تر، قاسم عبده قاسم، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007م، ص، 133.

[6] صلاح احمد هريدي علي، المرجع السابق، ص، 38.

[7] احمد حامد ابراهيم القضاة ،المرجع السابق،325.

وبرع اليهود والمسيحيين في تجارة الرقيق[1] وتجارة الجواري إلى جانب البنادقة والجنويين.[2]

ولم يكن لليهود نظير في تجارة النسيج والصباغة وخاصة في سالونيك salonica، وأصبحت أهم مركز للنسيج والملابس في الشرق وخلقوا أسواقا هائلة للبضائع العثمانية، كان تمركزوا في بورصة في الأناضول بإرسال سفنهم عبر القسم الآسيوي والى البندقية، وعبر البحر الأحمر والخليج العربي إلى المحيط الهندي، والى الهند والصين وما ورائها.[3]

كما تاجر اليهود والنصارى في الفواكه مثل العنب والتين، وتاجروا أيضا في الماشية والأغنام والجلود،[4] وتجارة الأخشاب التي تستعمل في صناعة الأدوات المنزلية، وتجارة الصدفيات التي تصنع منها المسابح والصلبان، وكنت التجارة تنشط في أوقات الصلاة بخاصة يوم الجمعة، كعرض منتجاتهم أمام المسجد الأقصى وهذا ما أثار غضب والي الشام الذي سارع بإصدار فرمان يمنع التجار من عرض بضائعهم أمام المسجد، وبعدها صدر فرمان من طرف الدولة العثمانية بخصوص ذلك.[5]

وصدروا عدة منتجات مثل العقاقير والأصواف من أنقرة والفواكه المجففة من الأناضول، والحرير من

بورصة وإيران[6]،وكانت تتم المقايضة على أنواع مختلفة، كمقايضة المرجان بجوزة الطيب، والقرفة بالقسطل، والبن بالبندق، وزيت الزيتون بالسمك المملح.[7]

---

[1] يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص، 26.

[2] صلاح احمد هريدي علي، نفس المرجع، ص، 33.

[3] ستانفورد ج شو، المرجع السابق، ص ص، 175- 178.

[4] صلاح احمد هريدي علي، نفس المرجع، ص، 30.

[5] احمد حامد إبراهيم القضاة، نفس المرجع، ص ص، 319- 320.

[6] ستانفورد ج شو، المرجع السابق، ص، 179.

[7] صلاح احمد هريدي علي، المرجع السابق، ص، 44.

أما وسائل التبادل التجاري، فالقسم الأعظم من التجارة الأجنبية كانت تجري بطريقة بحرية، إضافة إلى نظام القوافل.[1]

وتكونت بعض الشركات بين المسيحيين وبعض التجار الفرنسيين والانجليز بهدف الاتجار في المشروبات، وشركات لتصدير الكتان والجلود والسمك واستيراد الصابون والخمور وكان مقرها في قبرص، كما تكونت شركة لتجارة الصدف والمرجان، وشركات لشراء المراكب وغيرها.....[2]

كما تشكلت في الإسكندرية عام 1727م إحدى الشركات الخاصة ببعض التجار اليهود الأثرياء الذين افتتحوا مكتبا خاصا يمارسون من خلاله عمليات البيع والشراء وتبادل البضائع المختلفة.[3]

ويرجع ازدهار تجارة الجاليات الأجنبية إلى الحماية والرعاية اللتان كانت تتلقاهم من القناصل والسفراء، إلى جانب السكنات التي هيئتها الدولة العثمانية للأجانب، وهي "**الخانات**"[4] التي كانت تضم مخازن لبضائعهم.

2- الزراعة: صدرت الدولة العثمانية قانون الأراضي سنة (1275هـ / 1858م) الذي نص على تمليك الأراضي بشرط أن يثبت المزارعون أنهم يزرعون الأرض لمدة لا تقل عن عشرة أعوام وأنهم دفعوا الضرائب المقررة للدولة إضافة إلى دفع رسوم تسجيل الأرض، وفي حالة وفاة المالك وعدم وجود ورثة تعود للدولة.

---

[1] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص، 411.

[2] صلاح أحمد هريدي علي، نفس المرجع، ص، 34.

[3] اندريه ريمون، المرجع السابق، ص، 685.

[4] **الخانات:** تعددت الآراء في معناها، فهي تعني الحانوت، كما تدل على المتجر والمكان الخاص بالتجار، أي محل إقامتهم وتجارتهم، وتعني أيضا منزل المسافرين والقوافل، وكلمة خان مرادفة لكلمة فندق أو الوكالة أو القيصرية أو الربع. للمزيد أنظر: علي كامل حمزة كاظم السرحان، **خانات الحلة في العهد العثماني**، دراسة تاريخية، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، جامعة بابل، (1432هـ / 2011م)، ص، 3.

ولم يقتصر شراء الأراضي الزراعية على الفلاحين، بل السجلات تشير إلى أن حتى الأديرة والبطاركة والرهبان اشتروا الأراضي،كما استغل بعض النصارى خاصة الروم الأرثوذكس تابعيتهم للدولة العثمانية من جهة ومن جهة أخرى نفوذهم لدى الدول الأجنبية في امتلاك الأراضي الزراعية.[1]

ولم يكن شائعا في أواسط اليهود الاشتغال بالزراعة ولم يحرصوا على شراء الأراضي أو الحقول أو الحدائق، حتى أن غير اليهود يسخرون من اليهود ويقولون انه حتى لو زرع اليهود الأرض فان زرعهم لن ينبت، وإنما كان اهتمامهم الأكبر بالتجارة.[2]

أما النصارى فقد حرصوا على زراعة أراضيهم بمختلف الأشجار المثمرة والحبوب وذلك بعدة طرق:

– **الاستغلال الشخصي**: وهو قيام صاحب الأرض بالزراعة والعناية بشكل مباشر.

– **المزارعة**: يقدم المالك الأرض والبذور والمعدات، والفلاح يقوم بالعمل، ويقسم المحصول بينهما بحسب العقد.

– **المساقاة**: يقوم المالك بإعطاء الشجر لمن يعتني به مقابل حصة معلومة.

أما الثروة الحيوانية فقد اهتم النصارى بالحيوانات واستئجار بعضها للاستفادة منها في الزراعة ومنها (الجمال، الأغنام، الماعز، الأبقار، الخيول، البغال).[3]

– **الصناعات والحرف**: إضافة إلى النشاط التجاري والزراعي مارست الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية مجموعة من الصناعات والحرف، تمثلت فيما يلي:

[1] أحمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص ص، 276- 279.

[2] يعقوب لاندوا، **تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية (1517–1914م)**، تر، أحمد الرفاعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م، ص، 31.

[3] احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص ص، 291- 292.

أ– الصناعات الغذائية: وتمثلت هذه الأخيرة في بعض المعاصر والمطاحن نذكرها كالتالي:

– معاصر السمسم: لاستخراج الزيت من نبات السمسم، واشتملت المعصرة على معجن لعجن السمسم، وعلى حجران كبيران لعصر السمسم، وفرن لقلي السمسم، وعلى مخزن للسمسم.[1]

– طواحين الحبوب: امتلك اليهود عدة مطاحن للقمح، وكانوا يشتغلون فيها وأحيانا يلجؤون إلى أجراء من غير اليهود للعمل فيها،[2] وكانت تدار بواسطة الحيوانات.

– معاصر الزيتون: وكانت تتألف من حجر مستدير على حافة الحوض، ويملئ الحوض بالزيتون ويدار الحجر عليه، ولا بد من عصر الزيتون مرتين لاستخراج كامل الزيت.[3]

ب– صناعة الأدوات والأواني النحاسية: عملوا في صناعة الأواني النحاسية،[4] كالصحون والصواني والطناجر النحاسية.[5]

ج– **الصباغة:** كانت تعتبر من معايير جودة المنتجات، حيث كانت المنتجات تصبغ بألوان مختلفة وبعناصر أصلية، ولاقت رواجا في الأسواق المحلية وحتى العالمية.

د– الصياغة: كانت حرفة شبه محتكرة من قبل اليهود والأرمن، وكان الأرمن المسيحيون يحتكرون صناعة

[1] أحمد حامد ابراهيم القضاة،المرجع السابق، ص، 297.

[2] يعقوب لاندوا، المرجع السابق، ص، 156.

[3] احمد حامد إبراهيم القضاة، نفس المرجع، ص، 299.

[4] صلاح احمد هريدي علي، المرجع السابق، ص، 58.

[5] احمد حامد إبراهيم القضاة، نفس المرجع، ص، 299.

المجوهرات في كل بلد وجدوا فيه،[1] وتم تعيين سوق خاص عرف بسوق الصاغة، وكانت الدولة العثمانية تعين شيخ للسوق.

هـ – الساعاتية: اشتغلوا بتصليح الساعات، ووردوا في سجلات القرن التاسع عشر "بالساعاتي".[2]

كما أنهم احترفوا عدة مهن أخرى في معظم مدن الدولة العثمانية، فعملوا في صناعة النسيج والذهب والفضة والصناعات الخشبية والعاج،[3]

وصناعة الأقفال وصناعة الأحذية وكانوا مهرين في تزييف الحديد (الحدادة) وكانوا بحارة خبراء وصيادين سمك[4]... وقد ارتبطت بعض هذه الصناعات بسد حاجات السكان الأساسية، وبعضها الآخر بالتصدير كصناعة الصابون والتحف الدينية.[5]

إضافة إلى الصناعات فقد مارسوا عدة مهن كالخياطة والجزارة والسمسرة، وكحلاقين وخبازون وطباخون وحدائقيون، ومن الشائع أن السلاطين اعتمدوا في طبابتهم إلى حد كبير على الأطباء الأجانب وخاصة اليهود منهم[6]، ومن يريد ممارسة هذه المهنة يأخذ تصريحا من "الحكيم باشي".[7]

[1] جيب هاملتون وهارلود بوون، المرجع السابق، ص ص، 300- 322.

[2] احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص ص، 301- 302.

[3] يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص، 26.

[4] ستانفورد ج شو، المرجع السابق، ص، 175.

[5] احمد حامد إبراهيم القضاة، نفس المرجع، ص، 297.

[6] صلاح أحمد هريدي علي، المرجع السابق، ص، 58.

[7] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص، 526.

3- الضرائب: مثلت الضرائب مصدر دخل للدولة العثمانية، وكان لها الدور في تمويل الخزينة العامة للدولة، وبالتالي ألزم الأجانب بنوعين من الضرائب: النوع الأول تمثل في الضرائب الشرعية أي التي بينها التشريع الإسلامي، أما النوع الثاني فتمثل في الضرائب العرفية، ونذكر هذه الضرائب كالتالي:

- الضرائب الشرعية.

أ- الجزية: يؤديها أهل الذمة مقابل تعهد الدولة بحمايتهم، ويشترط في من يؤديها أن يكون بالغا واعفي منها الأطفال والنساء والمرضى والمعوقين والشيوخ غير القادرين عن العمل، والرهبان الذين يعيشون على الهبات، وتأخذ من الأثرياء رغم عدم اشتغالهم.[1]

وتؤدى سنويا بموجب ثلاث مبالغ طبقا لدخل كل رأس في البيت.[2]

-عن الثري: بمقدار 48 درهما فضيا.

_ عن الأوسط: بمقدار 24 درهما فضيا.

_ عن الفقير: بمقدار 12 درهما فضيا.[3]

وقد ألزمت الدولة العثمانية البطاركة والحاخامات بجمع أموال الجزية وتسليمها ل "جزية باشي ياقي قلو" الذي تعينه الدولة العثمانية لاستلام الجزية.[4]

ومع صدور "التنظيمات الخيرية" صدرت إرادة سلطانية في 10ماي 1855م، قضت بفرض الجندية على غير المسلمين وألغيت ضريبة الجزية، لكن فرض الجندية أدى إلى تذمر الأجانب، فاضطرت

[1] احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 338.

[2] ستانفورد ج شو، المرجع السابق، ص، 146.

[3] أكمل الدين إحسان أوغلى، المرجع السابق، ص، 641.

[4] جيب هاملتون وهارلود بوون، المرجع السابق، ص، 182.

الدولة إلى إلغاء الجندية وفرض بدل نقدي، ولكن عام 1909م الغي البدل وعادت الجندية كخدمة إجبارية.

ب- الخراج: هو الضريبة التي تأخذ عن "الأراضي الخراجية"، أي الأراضي التي فتحها المسلمون ثم تركت لأهلها المحليين،[1] وكانت تتراوح قيمتها ما بين 6 إلى 12 أوقجة سنويا،[2] وينقسم إلى قسمين:

1- الخراج المقسم: ويكون بحسب خصوبة الأرض، ولا يؤدى إلا بجمع المحصول ويتعدد بتعدد المحصولات السنوية.[3]

2- الخراج الموظف: لا يرتبط بالمحصول، وإنما هو ضريبة تجنى عن مساحة الأرض.

ج- ضريبة العشر: هي من حيث اللغة جزء من عشرة أجزاء، وبما أن إدارة الأراضي كانت تنتقل للدولة فان المزارعون يصبحون مستأجرين دائمين لأراضي الدولة، وفي كل عام يقدمون لها قدرا من المحصول الذي تنتجه الأرض يعرف باسم "العشر"، وتتراوح الضريبة بين عشر إلى خمسة أعشار، وتم إلغاء هذه الضريبة بعد إعلان الجمهورية التركية بقانون صدر عام 1925م.[4]

إضافة إلى هذه الضرائب فرضت الدولة العثمانية على الأجانب ضرائب أخرى مختلفة كضريبة الجمارك يدفعها التجار على بضائعهم عند دخولهم وخروجهم من الأراضي العثمانية،و[5]كانت تفرض لتمويل الجيش، وضريبة " celbakcesi" لصيانة الأساطيل الملكية "السلطانية"، وضريبة "غابيلاه gabila "

[1] أكمل الدين إحسان أوغلى، المرجع السابق، 641.

[2] جيب هاملتون وهارلود بوون، المرجع السابق، ص، 279.

[3] أكمل الدين إحسان أوغلى، نفس المرجع، ص، 641.

[4] نفسه، ص، 640.

[5] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص، 368.

وبالعثمانية "gabelle"و التي تفرض على بعض البضائع مثل اللحوم والخمور والجبنة والمنسوجات.[1]

وبعض الرسوم منها، رسم الأرملة وتعرف باسم "بيوه رسمي" تجنى من الأرملة غير المسلمة بمقدار 6 أقجات، ورسم الأغنام التي تجبى من الفلاحين اللذين يعملون بتربية الحيوانات بمعدل "أقجة واحدة" عن كل راسين من الأغنام أو الماعز.[2]

وكانت هذه الضرائب المفروضة تفوق طاقاتهم وبالتالي يقع الظلم عليهم، ولذلك اجمع بطاركة (الأرمن، الروم، الموارنة، السريان) في بلد الشام على ضرورة أن تكون الضريبة تبعا لأملاكهم.[3]

[1] ستانفورد ج شو، المرجع السابق، ص ص، 146- 149.

[2] أكمل الدين إحسان أوغلى، المرجع السابق، ص ص، 145-146.

[3] مظفر آلبايراق وآخرون، **سوريا في الوثائق العثمانية**، تر، صالح سعداوي، طباعة سجيل أوفست، استانبول، 2013م، ص. 44.

المطلب الثالث: النشاط السياسي والإداري.

اعتمد العثمانيون التبعية الدينية كأساس للتقسيم الإداري،[1] وكانت الجاليات تؤلف أشبه ما يكون بجمهوريات صغيرة في نطاق الدولة العثمانية، لها حكامها الخاصون منها وإداريوها[2]، وبالتالي تمثلت السلطات الإدارية للجاليات الأجنبية كالتالي:

1- السفير:

يكون السفير على رأس مجموع جاليات كل دولة أوروبية، ويمثل الدولة لدى السلطان العثماني وكان مقره إقامته استانبول، وكان السفراء يتمتعون بنفوذ لدى السلاطين العثمانيين بحكم قربهم منهم ومكانتهم[3].

وكان سفير البندقية يسمى "بيل" ويتم اختياره من النبلاء الأغنياء، وإضافة إلى صفته السياسية كان يلعب دورا دبلوماسيا يحدد به علاقات الجمهورية بالدولة العثمانية.[4]

وبالنسبة لسفير فرنسا فكان يسعى بالدرجة الأولى إلى تمتين العلاقات السياسية بين الدولتين، رغم أن إنشاء علاقات دبلوماسية بين فرنسا والدولة العثمانية كان اسبق من وجود جاليات فرنسية في أنحاء الدولة العثمانية، إلا أن السفير الفرنسي في القرن السابع عشر تعرض للإهانات عديدة بسبب توتر العلاقات السياسية بين الدولتين بسبب غرور فرنسا في احتكار الصداقة العثمانية.[5]

---

[1] إسماعيل احمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، مكتبة العبيكان، الرياض، (1415هـ / 1995م)، ص، 90.

[2] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص، 534.

[3] فردوس بنت حافظ محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 10.

[4] نفسه، ص، 546- 548.

[5] نفسه، ص ص، 553- 557.

2- القنصل: هو الرئيس المباشر للجاليات الأوروبية في الإسكلة التي تقيم فيها، وفي الحقيقة كانت المؤسسة القنصلية اسبق في الظهور من السفارة[1]، ، ولأن القنصل متخصص في العمل التجاري وكان من الطبيعي تمركز القنصليات في المدن التجارية الهامة مثل حلب ودمشق واللاذقية، وعندما كانت الدول الغربية ترغب في تعيين قناصل أو وكلاء قناصل لها في الولايات العثمانية، كانت سفارات هذه الدول في الأستانة تقدم ترجمة قصيرة عن حياة القنصل والأعمال التي قام بها، ثم يوافق الصدر الأعظم على القنصل، وتصدر بعد ذلك إرادة سلطانية بالموافقة على تعيين ذلك القنصل[2].

وكان يساعده في مهامه عدد من الإداريين المساعدين وموظفي الخزينة، وحتى لا يصبح حكم القنصل مستبدا أقيم إلى جانبه اثنان من النبلاء المستشارين.[3]

ومن الحقوق التي تمتع بها السفراء والقناصل انه لا يجوز سجنهم أو طردهم أو إغلاق محلاتهم، حتى انه كان يسمح لهم برفع علم بلادهم في أماكن سكناهم، وكذلك الإعفاء من الضرائب والرسوم، حيث كانت لهم الحرية في صنع النبيذ وجلبه من خارج البلاد بدون ضرائب، ولهذا كانت الخمور رائجة خاصة في صفوف الانكشارية ورجال البلاط العثماني.[4]

3- مجلس الإثني عشر: يتم اختيار أعضائه من قبل القنصل ولا يجتمع المجلس إلا بدعوى من القنصل، ويشترك المجلس مع القنصل في تعيين موظفي القنصلية، كما يساعد القنصل في بعض أحكامه

[1] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص، 563.

[2] مازون البودي، **القناصل في ظل الدولة العثمانية ودورهم في بلاد الشام (1247 – 1333هـ / 1831 – 1914م)**، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مج 37، ع 3، 2015م، ص ص، 329، 331.

[3] ليلى الصباغ، نفس المرجع، ص ، 571.

[4] ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص ص، 75- 76.

القضائية.[1]

4- مجلس الشورى: شارك النصارى في مجلس الشورى عام 1840م، وانحصرت مهمة المجلس في النظر في أمور الرعية وأحوالهم ونشر العدل، كما بحث المجلس في قضايا شراء اليهود للعقارات والأراضي.

5- المختار: يعد المختار موظفا إداريا، يتم اختياره من أبناء الطائفة والذين يدفعون "ويركو"[2] سنويا للدولة العثمانية يقدر بخمسين قرشا.

6- مجلس اختيارية القرية: وجد في كل قرية، وكان لكل طائفة الحق في اختيار ممثلين عنها، ويدفعون خمسين قرشا ويركو للدولة العثمانية سنويا.[3]

7- الخازن: هو المسؤول عن النفقات وجمع الضرائب، ويصرف بموافقة السفير أو القنصل المال الضروري للإنفاق (الغرامات، الهدايا، الرشوات...) وهم من يدفع جميع أجور الخدم.

8- التراجمة: هم الوسطاء بين الجاليات الأجنبية وسكان البلد، لان جهل الأجانب للغة العربية والتركية كان يعيق الاحتكاك المباشر بينهما، فكان التراجمة هم قنوات الاتصال في كل المفاوضات التي تقوم بين الأجانب والسلطات العثمانية، وفي الزيارات الرسمية.[4]

أما الوظائف المالية فنذكرها في كالتالي:

1_ الصراف: له علاقة بالخزينة وكان يعينه الوالي، وتنحصر مهمته في صرف الأموال واجراء امور اللواء

---

[1] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص، 614.

[2] **الويركو:** كلمة تركية تعني جزية أو خراج أو مال ميري أو رسم، ومصدرها (وير مك) وتعني الوهب أو العطاء والمنح. انظر: احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 222.

[3] احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص، 225.

[4] ليلى الصباغ، نفس المرجع، ص ص، 621- 626.

المالية.

2- الكاتب: تنحصر مهمته في مساعدة المباشرين والمتسلمين المسؤولين عن الحسابات لتحصيل الأموال وصرف المرتبات.

3- مأمور الجمارك: مهمته تقاضي الرسوم المفروضة على البضائع المستوردة من الخارج.

4- مدير البنك العثماني: تأسس عام (1279هـ / 1862م) برأس مال انجليزي _ فرنسي مشترك، وقدره عشرة ملايين ليرة انجليزي، واتخذ البنك الأستانة مقرا له وكان له فروع في لندن وباريس ومصر وقبرص.[1]

[1] احمد حامد إبراهيم القضاة، المرجع السابق، ص ص، 229- 231.

المبحث الثالث: التواجد الأجنبي بين الآثار الإيجابية والسلبية في الدولة العثمانية

المطلب الأول: الآثار الإيجابية.

المطلب الثاني: الآثار السلبية.

المطلب الثالث: مواقف بعض العلماء من الفكر الوافد

المطلب الأول : الآثار الايجابية للتواجد الأجنبي :

أثر التواجد الأجنبي في الدولة العثمانية على صعيدين إيجابي وسلبي و يمكننا أن نحصر الإيجابي فيما يلي:

1- سياسيا :

من الانعكاسات التي تختص التواجد الأجنبي في الدولة لعثمانية الجانب السياسي الذي برز في الإصلاحات التي تضمنت قوانين مستحدثة من بينها :

"خط كلخانه" وكان هذا القانون بضغط من الدول الأوروبية[1]، حيث الظروف والتطورات الحاصلة في الدولة العثمانية و العالم الأوروبي هي من أجبرت الدولة العثمانية على قبول هذا الإصلاح ، فعليها أن تواكب التغيرات الجذرية[2] .

ويرى قيس جواد العزاوي أن هذا القبول من أجل وقوف الدول الأوروبية مع الدولة العثمانية ضد[3] محمد علي[4].

هذه التنظيمات أثرت على القضاء، إذ تعززت المحاكم القضائية العثمانية بالتجديد من خلال إقامة محكمة النقض، وهي ديوان الأحكام العدلية، مع إقامة العديد من المحاكم في حين كانت المحاكم الأولى ذات درجة

[1] أكمل الدين إحسان أوغلي ، المرجع السابق ، ص ، 512.

[2] نفسه ، نفس الصفحة.

[3] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق،ص، 59.

[4] **محمد علي** : (1729 هـ/ 1849م)، تولى ولاية مصر سنه ،1805م شارك مع السلطان محمود الثاني في إخماد ثورة اليونانيين لكن بمساعدة الدول الأوروبية جعل أسطول محمد علي يتحطم، وكان رفض محمد علي دعوة السلطان في حرب روسيا عام 1828م نتيجتها غضب السلطان وبالتالي أقرر أن يواجه محمد علي سيده بجيش قاده إلى كوتاهية، وهنا طلبت الدولة العثمانية من الدول الأوروبية الوقوف إلى جانبها، وتم توقيع المعاهدة تم التنازل بها لمحمد علي بسوريا و ولاية أطنة. للمزيد انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج6، المرجع السابق،ص،3053.

واحدة، و تشكل عدد كبير من الأعضاء غير مختصين في القانون [1]هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الامتيازات الأجنبية التي كانت تحمل في طياتها سياسة ضرب الأوروبيين يبعضهم، ففي أيام "**مراد الرابع**" [2] وصلت علاقة فرنسا بالدولة العثمانية درجة شديدة من الضعف ،فحملت الدولة العثمانية فرنسا وإمارة البندقية حق حماية الكنائس النصرانية في غلطة ، كما تم طرد طغمة من المنصرين سنة (1037هـ 1628م) من قبل السلطان بناءا عل إلحاح السفيرين الانجليزي و الهولندي من أجل فتح المجال أمام البروتستانت ، كذلك نقل خدمة بيت المقدس إلى اليونان خلال اتفاقية مع السلطان سليمان القانوني [3]

2 – اقتصاديا:

يعتبر الجانب الاقتصادي من الجوانب التي تأثرت بالنشاط الجاليات الأجنبية،وهو ما برز في علاقات الأوروبية العثمانية .

فقد منحت الامتيازات التي هي من ضمن النظم الخاصة بالأوربيين و بالخصوص التجار الأجانب ثم المقيمين[4]، من أجل إنعاش اقتصاد البلاد وفعلا قد حققت ذالك [5]،وقد ذكرت الدكتورة ليلى الصباغ تلك الفكرة حيث قالت أن الدولة العثمانية أوجدت لسوريا علاقات جديدة مع أوروبا أعاد لسوريا حركة أسواقها النشيطة خصوصا بعد اكتشاف طريق "رأس الرجاء الصالح" الذي أضعف وارداتها من التوابل و منتوجات الشرق وبفضل سياسة الدولة العثمانية الجديدة بقيت الشام على صلة بالتطورات الاقتصادية الدولية التي

[1] أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص، 512.

[2] ، **مراد الرابع** : ولد سنة 1641م تولى السلطة وهو ابن سبع سنوات،واجه في بداية عهده الحلف المقدس المتمثل، في بعض الدول الأوروبية ،تولى صدارة العظمى في عهده محمد كوبرللي الذي أعاد هيبة الدولة ، عزل من منصبه سنه 1688م . انظر محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، در الفجر لتراث، 2004م .

[3] ياسر بن عبد العزيز قاري، ج2، المرجع السابق، 424.

[4] صالح هريدي علي، المرجع السابق ، 21.

[5] أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع نقسه، ص، 687.

كانت تؤثر بالدولة و تتأثر فيها[1]،كما أن الجاليات الأوروبية فتحت الطرق البرية القديمة التي تصلها بأقصى أسيا ، فعجت طرق الصحراء بالقوافل التجارية الضخمة التي تنقل السلع والبضائع من الهند وفارس والعراق إلى مدن بلاد الشام [2].

وقد نمت موانئ الشرق البحر الأبيض المتوسط وبحر ايجه و تطورت خلال تلك العصور، وقد أصبح ميناء أزمير منذ القرن السابع عشر ميلادي من أهم الموانئ التصدير في الأناضول، وفي أواخر القرن الثامن عشر للميلاد احتل القطن و الفواكه المجففة مكان الحديد في التصدير، أما السيلانيك يعتبر ميناءها أكثر نشاطا من ناحية الاقتصادية، وتحولت استانبول إلى ميناء يستورد السلع الفاخرة أكثر من أي شيء آخر [3]،وبفضل التجار المتواجدون في أسواق القاهرة، أصبحت هذه الأخيرة من أكبر وأغنى مدينة تجارية في منطقة الشرق الأقصى[4].

وقد ذكر السلطان عبد الحميد في مذكراته عن السكك الحديدية التي أنشأتها الدول الأوروبية في الدولة العثمانية عام 1900م[5] أنها كانت محل التنافس الشديد بين هذه الدول وسعى سفراء هذه الدول إلى استخدام كل الطرق لاستمرار الصراع قائلا في مذكرته :انه "كان منظرا يمتع ناضريه"[6].

وفي مجال النقل كان للسفير الإنجليزي الفضل في جلب العربة إلى بلاد الليفانت ومن ثم انتشرت في جميع أنحاء

[1] ليلى الصباغ، ج2، المرجع السابق،صص،852-85.

[2] نفسه ، ص، 853.

[3] أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص،688.

[4] الغالي غربي، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي (1288هـ / 1916م)** ،د ط ،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر،2007،ص،99.

[5] السلطان عبد الحميد الثاني ،**مذكراتي السياسة**، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة (1397هـ/ 1977م)،ص،81.

[6] **نفسه، ص، 81.**

الدولة العثمانية بعدما كنت تستعمل الحيوانات في السفر والتنقل[1].

و فيما يخص الضرائب فقد ألغى خط كولهانة كل بدع الالتزام والضرائب، بعد أن كانت تفرض الدولة العثمانية على بلاد الشام رسوم تعسفية، وقام القانون "**الهمايوني**"[2] بوضع حد لفوضى الملكية التي كانت سائدة في العهد العثماني وكانت محاولة جادة لسيطرة على أراضيها ووضع حد للمتلاعبين بها ، كما اهتمت الدولة بتسجيل الأراضي و توزيع سندات الطابو على المالكين [3] .

3 – فكريا :

لقد كان الجانب الفكري للتواجد الأجنبي ظاهرا في عدة مجالات التي سبق ذكرها من إنشاء المدارس ومطابع ...الخ وقد تجلى أثرها في مجال التعليم الذي تخرج منه نخبة من العرب الذين يتقنون اللغات الأجنبية خاصة اللغتين الفرنسية و الانجليزية ويجيدون التحدث بها [4].

كما أننا لا يمكن أن نتجاهل العلوم الجديدة التي تم أضافتها إلى المدارس الأجنبية من العلوم الحديثة.

وقد كانت المعاهد اليهودية، تهتم بالمناهج التجارية والصناعية و الزراعية مما ساعد الطلاب في حياتهم العلمية[5].

---

[1] ليلى الصباغ، المرجع السابق،ص، 854

[2] **القانون الهمايوني**: صدر في (18 – 2 – 1856م) الذي أخذ من كولهانة وأضاف إليه حرية العقيدة و بناء الكنائس وترميمها ولحاق غير المسلمين إلى الخدمة العسكرية و إقامة محاكم جديدة. فايز محمد حسين محمد، **الشريعة و القانون في العصر العثماني و علاقته بنظام الملل**، جامعة الإسكندرية ، كلية الحقوق،2 ،ص، 32.

[3] غانية بيعو، **التنظيمات العثمانية وأثارها على الولايات العربية الشام والعراق أنموذجا** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف لغالي غربي، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،قسم تاريخ حديث ، جامعة الجزائر،(2008م 2009م)، ص،196

[4] سعيد إسماعيل علي، **الفكر التربوي الحديث** ،عالم المعرفة،(1929-1990م) ،ص، 40.

[5] ماجد بن صالح المضيان ، المرجع السابق ، ص، 160.

وقد كان لإدخال الطباعة إلى البلدان العربية تأثيرا على الترجمة إذ فقط في مصر وحدها تم طبع 2500 كتاب في مكتبة الأميرية بيولان، وكانت من الكتب المترجمة الكتب السياسة و الاجتماعية، أدتا إلى إطلالة العالم الإسلامي على العلوم الغربية [1].

كما أن للصحافة دور كبير في فتح أذهان عقول الناس حول أمور جديدة كالدستور وحقوق المواطن تجاه الحكومة وغيرها من القضايا ذات أرضية خصبة لتجديد الفكري[2].

4 – عسكريا:

كانت الدولة العثمانية منفتحة على أوروبا واعتمدت على الأجانب للعمل في مجال الجيش و البحرية وكان بمثابة مؤشر لتأخر الدولة العثمانية.

وكانت إصلاحات "**عبد الحميد الثاني**"[3] لعسكرية هامة، فقد تم من خلالها فتح الإعدادية العسكرية و استقدم عدد كبير من الجنرالات الألمان المختصين حيث دربوا الجيش العثماني، وبعث الجيش إلى ألمانيا لكي يتدرب هناك [4].وقد تجلى اهتمام العثمانيون بالجانب العسكري في الربع الأخير للقرن الثامن عشر من حيث المناطيد ،ثم بالطائرات والطيران في القرن العشرين.[5]فقد استدعت خبيرين عندما بدأت بأعمال الطيران عام

[1] عبد الرءوف عباس حامد، المرجع السابق ، ص، 6.

[2] نفسه ، ص ، 7.

[3] **عبد الحميد الثاني**: (1258- 1337هـ / 1842- 1918م)، ولي السلطة عام (1293هـ/ 1776م) وخلع عام (1327هـ/ 1909م)، انشأ البرلمان العثماني عام 1293هـ، وألغى الرسوم المفروضة على الصادرات الجمركية، ربط الحرمين وجزيرة العرب بواسطة السكة الحجازية لأغراض سياسية أكثر منها دينية. انظر: محمد جميل جهيم، المرجع السابق، ص ص، 50، 52.

[4] السلطان عبد الحميد الثاني، المرجع السابق، ص21.

[5] أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص،427.

1912م،من فرنسا، لكن عندما أخذت فرنسا مكانا لها في المعسكر الدول المتحالفة سحبت خبرائها من استانبول وأدخلت الدولة العثمانية الحرب ، وتوقف نشاط مدرسة الطيران[1].

وقد أعقبت معاهدة "كينارجه" إصلاحات عديدة في مجال الجيش من أجل حماية الحدود من الخطر الأجنبي فقد سعى السلطان عبد الحميد إلى إنشاء سلاح مدفعي جديد وأسطول بحري فعال وكان هذا بمساعدة الجنرال الفرنسي المجري الأصل دو توت DE TOTT". ومساعدين آخرين [2].

[1] أكمل الدين إحسان اوغلي،ص،429-340.

[2] علي المحافظة، **حركات الإصلاح و التجديد في الوطن العربي والتحديات التي تواجهه في مطلع القرن** 21م .، د ط،د دن، د س ص،8.

المطلب الثاني: الآثار السلبية.

1-سياسيا

انعكس عن التواجد الأجنبي في الدولة العثمانية العديد من السلبيات التي كان لها اثر واضح في الجانب السياسي والاقتصادي والفكري، وارتأينا أن نوضحها في شكل نقاط.

- نظام الملل في خدمة الأعداء (الوصاية الغربية): تنبهت الدول الأوروبية إلى وجود أقليات أو جاليات في الدولة العثمانية فاستغلت هذه الدول الأقليات واعتبرتها فرصة لتفتت بها الدولة العثمانية[1]، وذلك من خلال فرض الحماية على هذه الأقليات، فاتخذت كل من الدول الأوروبية الكبرى ذريعة حماية ملة مسيحية لتتدخل في سياسة الدولة العثمانية، وتؤمن لنفسها نفوذا وحصة اكبر في تقاسم ارث "الرجل المريض" في إطار ما عرف **"بالمسألة الشرقية"**[2]، وكانت فرنسا المبادرة عندما أعلنت نفسها حامية للموارنة[3] وأخذت تطالب بحماية جميع الكاثوليك الشرقيين (الروم، السريان، الأرمن)[4]، وبعد سماح السلطان العثماني ل **"لويس الرابع عشر"**[5] بإعلان حمايته للطائفة المارونية عام 1649م، أصبحت الطائفة ترفع صورة الملك الفرنسي وتدعو له

---

[1] بان غانم احمد الصائغ، المرجع السابق، ص، 2.

[2] **المسألة الشرقية**: هي صراع الدول الأوروبية على أملاك الدولة العثمانية اثر ضعفها، بدا الحديث عن المسالة الشرقية عام 1774م، مع الحرب الروسية العثمانية (1768- 1774م) بعد انهزام العثمانيين، إذ ساد اعتقاد أن انحلال الدولة العثمانية بات وشيكا، فانخرطت الدول الأوروبية في صراع لضمان مصالحهم في أراضي الدولة العثمانية.

[3] أنظر الملحق رقم 10.

[4] جوزيف أبو نهرا، المرجع السابق، ص، 24.

[5] **لويس الرابع عشر**: ولد سنة 1638م، ملك فرنسا ما بين (1661 – 1715م)، اهتم بالإصلاحات الاقتصادية وتقوية الجيش االفرنسي، كما كانت له اهتمامات أخرى كالفنون والعلوم،ودخل في صراع مع هولندا، عرف عهده بالصراع الديني بين الكاثوليك والبروتستانت. أنظر: زينب عصمت راشد، **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**، ج1، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص، 173.

بطول العمر، بعدما كانت ترفع صورة السلطان العثماني[1].

أما روسيا فقد حصلت على حق حماية الروم الأرثوذكس وتجاوزت هذا فيما بعد حيث أصبحت تدعي جميع مسيحي الدولة العثمانية[2].

أما الطائفة اليهودية فحمايتها تمثلت في المشروع الانجليزي، فقد كانت بريطانيا تحاول جاهدة أن تجد لها موقع في المنطقة العثمانية، وتمثل مشروعها في إعادة تسكين اليهود الأوربيين في فلسطين، وترجع جذور هذا المشروع إلى شراء المبشر "الأنغليكاني نيكولاي يسون" قطعة ارض في ارض من جبل صهيون، ولقد كتب في 29 سبتمبر 1838م: "انه يحلم باستعمار اليهود لفلسطين تحت الحماية الانجليزية العليا..." وبالتالي تصبح كمستعمرة للاقتصاد الانجليزي[3]، كما أعلنت بريطانيا أن القنصل البريطاني مخول أن يتدخل لصالح اليهود، ووجد اليهود في هذه الحماية وسيلة لزيادة نفوذهم في الدولة العثمانية.

وفي عام 1887م أبدى السلطان **"عبد الحميد الثاني"** استياءه واستياء الحكومة العثمانية من عدم اتخاذ موقف من جهة القنصليات الأجنبية في القدس للعمل على إخراج اليهود الذين امتدت مدة إقامتهم عن المدة المسموحة[4].

وفي عام 1896م حاول **"هرتزل"**[5] زعيم الحركة الصهيونية الضغط على السلطان عبد الحميد عن طريق المال، أي دفع ديون الدولة العثمانية مقابل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين والسماح بإنشاء دولة لهم

[1] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص، 95.

[2] جوزيف أبو نهرا، المرجع السابق، ص، 24.

[3] قيس جواد العزاوي، نفس المرجع ، ص، 102.

[4] هدى درويش، المرجع السابق، ص ص، 179- 180.

[5] **تيودور هرتزل**: ولد في بودابست بالمجر عام 1860م لاسرة يهودية،هو صحفي يهودي، و هو الاب الروحي والمؤسس الاول للصهيونية العالمية، واول من تبنى فكرة تاسيس كيان يهودي في فلسطين، وهو الذي نظم المؤتمر الصهيوني الشهير "بازل" بسويسرا عام 1897م.

في فلسطين[1].

حاولت الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا تحريض الأقليات غير المسلمة ضد الأكثرية وإغرائها بتغذية أطماعها، وإضعاف الانتماء والولاء الوطني لها لتفتيت المجتمع وخلخلة تماسكه ليكون الصراع ذريعة للتدخل الأجنبي لتحقيق أهدافها ومصالحها[2]، واتبعت هذه الدول الأوروبية أسلوب "فرق تسد" بين مختلف طوائف الدولة العثمانية، فكانت تأيدهم ضد المسلمين وتساعدهم في شن الثورات والحروب[3]. وتمكنت القنصليات الأجنبية في الإمبراطورية العثمانية من تحويل نظام الحماية إلى شبكة من المصالح الاقتصادية والسياسية والثقافية، ولم تقتصر الحماية على فئة أو طائفة دون غيرها[4]، ومنحت الدول الأوروبية امتيازات وحقوقا للتدخل في شؤون الدولة العثمانية عن طريق رعاياها من الأجانب، وأصبحت هذه الاتفاقيات ملزمة للحكام ونجم عنها خروج الرعايا الأجانب عن طاعة أوامر الدولة مما سبب ضعفا للدولة العثمانية وأحيانا قيام ثورات وحركات تمرد[5]، وكان السلاطين العثمانيين يتغاضون عن تدخل قناصل فرنسا في الدفاع عن حقوق رعاياها، وكان القناصل الفرنسيين يقدمون لهم الدعم المعنوي والمادي، وفي بداية القرن الثامن عشر وبعد أن تراجعت قوة الدولة العثمانية تزايد تدخل القناصل الفرنسيين في مساعدة المسيحيين والدفاع عن مصالحهم دون أن يتلقوا أي اعتراض[6].

ومن العوامل الداخلية التي مهدت لهذا التدخل:

[1] هدى درويش، المرجع السابق، ص، 311.

[2] بان غانم احمد الصائغ، المرجع السابق، ص، 23.

[3] هدى درويش، نفس المرجع، ص، 399.

[4] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص، 95.

[5] إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص، 96.

[6] جوزيف أبو نهرا، المرجع السابق، ص، 23.

– نظام الملل العثماني والتنظيمات قد أسهمت في الوقت نفسه في ازدياد التكتل الطائفي، وعندما منحت رجال الدين صلاحيات كثيرة فسهلت بذلك مهمة الاختراق الغربي للمجتمع الإسلامي.

– ارتباك السياسة العثمانية إزاء الطوائف غير الإسلامية، ناهيك عن صراعات هذه الأخيرة فيما بينها بعد أن أصبحت كل طائفة مرتبطة بدولة أوروبية، هذا ما سمح بتدخل الدول الأوروبية في شؤون الدولة العثمانية[1].

– الفرمانات السلطانية وخط كلخانة 1839م وخط همايون 1856م أكدت جميعها على ضمان المساواة بين جميع أصناف رعايا الدولة العثمانية، ولكنها مع ذلك أبقت على امتيازات الملل غير المسلمة[2].

ورغم إعلان الدول الأوروبية الحماية للأقليات إلا أن هذا كان في الظاهر، أما الحقيقة كانت ضمان مصالحها الاقتصادية والسياسية وليس مصالح من تحميهم، واستغلوا تعددية المجتمع في العهد العثماني وامتيازات الحماية لتحقيق مآرب سياسية على حساب الأقليات المسيحية وغير المسيحية الطامحة إلى التحرر من السلطنة العثمانية والاستقلال[3]، لدرجة انه في القرن التاسع عشر غدت بعض الدول الأوروبية تلح على المسيحيين كي يمنحوها امتياز رعايتهم.

وتطورت هذه الحماية مع ضعف السلطنة العثمانية لتصبح حقوقا مكتسبة للفرنسيين خصوصا وللأوروبيين بشكل عام ، حتى بات السلطان لا يحكم عمليا في سلطنته غير المسلمين، والحماية مست كل المؤسسات الدينية والتعليمية والاقتصادية المسيحية في السلطنة، وحولت نظام الملل العثماني من نظام مثالي للتعددية والحريات الدينية والسياسية في عصر عرف بحدة الصراعات والاضطهادات الدينية إلى نظام ساهم في تسهيل ربط هذه الملل بالدول الأوروبية، فقد تحول ولاء أعداد كبيرة من المسيحيين العثمانيين إلى أوروبة، ومع الوقت

[1] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق،ص، 96.

[2] نفسه، ص ص، 96- 98.

[3] جوزيف أبو نهرا، المرجع السابق، ص، 25.

فقد هؤلاء هويتهم العثمانية ليلتحقوا بالهوية الأوروبية التي يؤكدها قانون الوصاية[1]، وقد بلغ التغلغل الأجنبي ذروته في مطلع السلطان عبد الحميد الثاني، وذلك بسبب امتيازات الدول الغربية في حماية نصارى الدولة العثمانية، واتخاذ ذلك ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة، وكان السلطان "سليم الثالث"[2] جد السلطان عبد الحميد يقول: "إن أيدي الأجانب تتجول متنزهة فوق كبده"، أما عبد الحميد فكان يقول: "أيدي هؤلاء الأجانب ليست فوق كبدي، وإنما في داخله"، لان نفوذها تعدى السياسة الخارجية إلى الداخل[3].

وبالتالي أصبح نظام الملل في خدمة الأعداء، وأصبحت الدولة العثمانية فاقدة لسيادتها على أراضيها بشكل شبه كامل بفعل نظام الملل[4].

– دور اليهود في خلع السلطان عبد الحميد الثاني: لقد هدف اليهود إلى خلع السلطان عبد الحميد الثاني لأنه وقف كعقبة في سبيل تحقيق طموحاتهم حيث كانت رغبتهم تتمثل في الاستقرار في ارض فلسطين[5]، فاستقر رأي الصهيونية العالمية للإطاحة بالسلطان عبد الحميد كخطوة لعودة "شعب الله المختار" إلى ارض "الميعاد" في مملكة إسرائيل[6]، فتلاحمت الجهود الداخلية والخارجية للتخلص من السلطان عبد الحميد، وعليه

[1] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص، 89.

[2] **سليم الثالث**: (1175- 1223هـ - 1762- 1808م)، ولي السلطة عام (1203هـ – 1789م) وخلع عام (1222هـ – 1807م)، جند الجيش على النظام الأوروبي، أشهر الحرب على انجلترا وكان مصلحا كبيرا أثار ضغينة علماء الدين، وحسبت له روسيا الحساب مع انجلترا فتواطأ عليه الرجعيون بتحريض بعض السفراء فخلع وقتل. انظر: محمد جميل جهيم، المرجع السابق، ص ص، 41، 42.

[3] محمد حرب، **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار (1658– 1336هـ / 1846– 1918م)**، ط1، دار القلم، دمشق، (1410هـ / 1990م)، ص، 92.

[4] قيس جواد العزاوي،نفس المرجع ، ص، 102.

[5] محمد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، (1434هـ / 2013م)، ص، 518.

[6] موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص، 228.

فقد قرر محفل "الشرق الأعظم الماسوني" خلع السلطان وذلك بداية من عام 1900م، ورحبت بهذه الفكرة المحافل الماسونية[1] القد أما السلطان عبد الحميد الثاني فقد كان على معرفة تامة من نوايا الحركة الصهيونية بعد جهود "هرتزل".

ويقول عبد الحميد في هذا الصدد: "لقد فشل الزعيم الصهيوني في إقناعي بهجرة اليهود إلى فلسطين"[2]، لأنه يوجد عدد كاف من اليهود في الدولة العثمانية وإذا كان لا بد أن يبقى العنصر العربي متفوقا لا بد أن تصرف الأنظار عن فكرة توطين المهاجرين اليهود في فلسطين[3]، وبما أن الدولة العثمانية كانت تعاني متاعب سياسية وعسكرية ومالية فترة السلطان عبد الحميد استغلتها الصهيونية وحاولوا إغراء السلطان بالمال إلا أن السلطان ردا قائلا: "... وعدوا بتقديم 150 مليون ليرة انكليزية ذهبا، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية وأجبتهم بالجواب التالي: أنكم لو دفعتم ملئ الدنيا ذهبا... فلن اقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي"[4]، وكان السلطان قد رفض عام (1293هـ / 1876م) عروض "حاييم غوديلا" لشراء مساحات من الأراضي الفلسطينية من اجل إسكان اليهود، وعلى الرغم من معارضته إلا أن

المحاولات اليهودية لم تتوقف عن إقناعه بالموافقة على إنشاء مستعمرة في فلسطين ورفع قيود الهجرة اليهودية إليها وذلك طبعا تحت حماية الدول الأوروبية الكبرى[5].

[1] **الماسونية**: تطرح الماسونية نفسها على أنها مؤسسة إحسانية وجمعية فكرية تستقطب ذوي النفوس الضعيفة، وتسعى الماسونية إلى تخطي الحواجز العقائدية الفاصلة بين الأديان والأحزاب، وفي الآونة الأخيرة فتحت المحافل الماسونية أبوابها أمام غير الأعضاء بغية السماع إلى آرائهم أو بالأحرى السماع إلى آرائها. للمزيد أنظر: عبد الوهاب الكيالي، ج5، المرجع السابق، ص، 657.

[2] احمد نوري النعيمي، المرجع السابق، ص، 244.

[3] السلطان عبد الحميد، المرجع السابق، ص، 34.

[4] نفسه، ص، 37.

[5] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 467.

وبما أن السلطان عبد الحميد الثاني كان عائقا أمام رغبة اليهود، فاتخذت الدعاية الإعلامية سبيلا لتشويه سمعته، فلقد تبنت حركة تشهير واسعة النطاق لهذا السلطان، فلم تترك عيبا إلا وألصقته به حتى أصبح شخصه رمزا للجهل والظلم وإراقة الدماء والانغماس في المذلات وحكمه عنوان الاستبداد، فاخذوا يكيلون له التهم ويتهجمون على أعماله وتصرفاته، حتى أصبح كل قرار يتخذه إلا وأثيرت حوله الشبهات[1].

ويقول "برنارد لويس": "لقد تعاون الماسونيين واليهود بصورة سرية على إزالة السلطان عبد الحميد الثاني، لأنه كان معارضا قويا لليهود، إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر ارض لليهود في فلسطين"، وقد نظمت الماسونية المؤامرة الأرمينية الأولى بتشجيع من "كال ادوارد السابع" مللك بريطانيا الذي قام بتقديم 13 ألف ليرة ذهبية للمنطقة الأرمينية (الطاشناق) لقتل عبد الحميد الثاني، إلا انه تم القبض على الأرمن في الباب العالي، لكن السفير تدخل لحمايتهم بحجة الامتيازات، ثم رتب المؤامرة الأرمينية الثانية للتخلص من عبد الحميد، وكلف اليهودي "ادوارد جورج" فرنسي الجنسية مع منظمة (الطاشناق)، فقاموا بتدبير قنبلة تحت كرسي القيادة لتنفجر عند خروج السلطان لصلاة الجمعة في جامع "يلدز"[2]، لكنها انفجرت قبل وصول السلطان، وكان ذلك في الخامس من يوليو عام 1905م وأدى الحادث إلى وفاة 26 شخصا وجرح 58 شخصا[3]، حتى أن الكاتب الشيوعي التركي "الهامي سوسيال" أكد دور الماسونية في الإطاحة بالسلطان قائلا: "إن إجبار عبد الحميد على قبول المشروطية عام 1908م ثم الإطاحة به عن عرشه نهائيا كان من فعل الماسون..."[4].

[1] هيلة بنت سعد بن محمد السليمي، المرجع السابق، ص، 151.

[2] موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص، 230.

[3] محمد حرب، المرجع السابق، ص، 63.

[4] موفق بني المرجة، نفس المرجع ، ص، 230.

كما قام اليهودي السويدي "نور دلنج" الذي ادعى الإسلام وسمى نفسه "علي نوري" وكان يحمل بطاقة عليها اسمه ووظيفته "علي نوري بك قنصل أول عثماني سابق"، قابل هرتزل وعرض عليه فكرة شراء بارجتين بحريتين لا يكلفان أكثر من (400,000) ليرة ذهبية عثمانية[1]، حيث تدخل البارجتان البوسفور وتدمر قصر "يلدز" الذي يقيم فيه السلطان، إلا أن المشروع رفض من طرف هرتزل[2] خوفا من وقوع مجزرة لبني جلدته اليهود داخل الدولة العثمانية إذا فشلت المؤامرة[3].

وقد سيطر يهود الدونمة[4] على جمعية "الاتحاد والترقي"، إذ أعطى البارون اليهودي "هيرس" 400 ألف ليرة ذهبية ل "قره صو" كان قد قبضها من البنك الايطالي وتم تسليمها إلى "أيوب صبري" احد أعضاء "الاتحاد والترقي" ليصرفها على أحداث 31 مارس 1909م التي أطاحت بحكم عبد الحميد الثاني[5]، اذ تم نفي السلطان وسجنه في "سلانيك" يوم 27 مارس 1909م في فيلا "ألاتيني"، ثم نقل إلى قصر "بكلر بكي" في استانبول 5 سنوات ومنع عنه الزوار[6]، حتى وافته المنية يوم الأحد 28 ربيع الثاني 1336هـ/ 10 فبراير 1918م وعمره 76 سنة [7].

وبعد إبعاد عبد الحميد الثاني من السلطة، عبرت السلطة في سلانيك عن غبطتها وفرحتها في الخلاص من

---

[1] محمد حرب، المرجع السابق، ص، 235.

[2] هدى درويش، المرجع السابق، ص، 387.

[3] محمد حرب، نفس المرجع، ص، 235.

[4] **الدونمة donmeh**: كلمة مركبة من جزأين "دو" بمعنى اثنين و "نمة" بمعنى نوع، ومعنى الكلمة الفرقة القائمة على نوعين من الأصول: النوع اليهودي والنوع الإسلامي، وقد أطلق الأتراك على اليهود المتظاهرين بالإسلام عبارة دونمة، وهي مصدر مشتق من فعل دونمك أي عاد ورجع، أما المصدر منه يعني المرتدون عن دينهم. انظر: الهام محمود كاظم، **دور يهود الدونمة في انهيار الدولة العثمانية**، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 7، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، أيار 2012م، ص، 158/1.

[5] موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص، 228.

[6] هدى درويش نفس المرجع ، ص، 388.

[7] محمد حرب،نفس المرجع ، ص، 49.

"مضطهد إسرائيل"[1]، وسيطر اليهود على زمام الحكم في الدولة العثمانية بعد إبعاد آخر أعظم سلاطين بني عثمان[2]، حيث تمكنت العناصر اليهودية من النفوذ إلى الدولة، فأصبح "جاويد بك" وزيرا للمالية، و"طلعت بك" وزيرا للداخلية، و"جاهد بك" مستشارا ل "جاويد بك" وينتمون جميعهم إلى الماسونية[3]، وتم تعيين "محمد رشاد" الملقب ب "محمد الخامس"[4] مكان عبد الحميد الثاني.

– القومية[5]: لقد أدى إلغاء "**دستور 1878م**"[6] من قبل السلطان "عبد الحميد الثاني" إلى تشكيل أحزاب وجمعيات سياسية سرا[7]، وكانت من أبرز الجمعيات "جمعية تركيا فتاة"، الذي كان اغلبها من اليهود، و "جمعية الوطن" التي أسست في مدرسة أركان الحرب[8] من قبل "**كمال أتاتورك**"[9]، و قد عمل يهود السفرديم الذين يشكلون نصف سكان السالونيك على توحيد هذه الجمعيات تحت اسم "عثمانلي اتحاد وترقي" .

---

[1] احمد نوري النعيمي، المرجع السابق، ص، 230.

[2] سنان صادق جواد، المرجع السابق، ص، 2.

[3] هدى درويش، المرجع السابق، ص، 389.

[4] **محمد الخامس**: (1260- 1337هـ – 1844- 1918م)، ولي السلطة عام (1327هـ – 1909م)، قضى حياته في ولاية العهد منصرفا إلى اللهو، وخضع للاتحاديين الذين اسقطوا أخاه عبد الحميد. انظر: محمد جميل جهيم، المرجع السابق، ص، 53.

[5] **القومية**: هي الإحساس بالانتماء وتتطلب روابط مشتركة من خلال التاريخ واللغة و الشعور المشترك . انظر: بشرى الزوبعي، **تطبيقات الدولة القومية في أوروبا**، د ط مركز الدراسات و بحوث الوطن العربي ، الجامعة **المستنصرية ،ص،1.**

[6] **دستور 1878م**:صدر هذا الدستور من طرف مجموعة مكونة من 28 عضو برئاسة "مدحت باشا"، ووصل عدد بنوده إلى 119 بند، وكان هدفه وضع حد للسلطان عبد الحميد وإدخال مفاهيم جديدة تمنح المواطن حقوق مثل الانتخابات. انظر: مؤلف مجهول، السلطان عبد الحميد الثاني 1876- 1909م، د، ط، د ،د ن، د س، ص، 3.

[7] لقد ذكر السلطان عبد الحميد في مذكرته انه كان داريا بهذه الاجتماعية السرية التي كانت تقام في جنيف،ولقبهم بالأتراك الشباب ، وكان عملهم يقوم على أساس تقديم التوعية و ترقية الأمة ،لكنهم أرادوا أن يطيحوا برحال دولتهم وتولي زمام الأمور أنفسهم ،وكانت هذه الفئة متحدة مع الصليبيين محاربة للإسلام وذكر المحقق أنهم كانوا ضحايا الماسونية . السلطان عبد الحميد الثاني المرجع السابق، ص،46.

[8] محمد مجمد توفيق، **كمال أتاتورك**، دط،دار الهلال،1936م،ص، 21.

[9] **كمال أتاتورك**: (1811- 1938م)، وتمكن مصطفى من طرد القوات اليونانية بعد ح ع 1 ، ادخل الحروف اللاتنية في اللغة التركية ،و أسس جمهورية تركيا الحديثة، ولقب بأتاتورك أي أبو الأتراك. انظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية ، ج1، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د س، ص، 27.

وتولى حزب الاتحاد والترقي عمله في السلطة في 5 كانون الأول 1908م، وأسس "المنتدى التركي" وهو عبارة عن أسس أدبية وعلمية في خدمة القومية التركية[1] أو الطورانية[2]، وكانت سياسة الطورانية أو سياسة التتريك تدعو إلى إبعاد عناصر غير التركية وتأيد المخططات وتسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين والتغاضي عن بيع الأراضي الحكومية لهم[3].

وكانت نتيجة هذه السياسة : **"القومية العربية"**، التي كانت بدايتها الإصلاح لكن تغير معناها إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية، وتبنى الفكرة "**الشريف حسين**"[4] فكان الشام هو المكان الطبيعي لتطور التيار العربي وعمل العالم المسيحي على إذكاء هذا التيار[5]، فأفكار الغرب الهدامة و المخربة سعى المبشرون بها لاستعمار الشعوب تحت غطاء الرابطة الصليبية العالمية وبرعاية الدول الرائدة كفرنسا وبريطانيا ، والتي بثتها ونشرتها بين سكان أقاليم الدولة العثمانية لزرع الفرقة والتباغض و التنافر بينهم وبين العثمانيين أنفسهم [6]، فأصبح العرب

[1] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص، 140.

[2] **الطورانية**: هو اصطلاح من أصل فارسي يشير بوجه عام الى المناطق الواقعة شرقي وشمال شرقي إيران وهي المناطق التي كان يعتقد في القرن التاسع عشر انها الموطن الأصلي للجنس الطوراني، وتمتد هذه المناطق في مساحات واسعة بآسيا الوسطى والشمالية، وكان من نتيجة النظريات الطورانية نمو شعور معين بوجود قرابة بين الشعوب كانت تعتبر منتمية للجنس الطوراني ومنها الأتراك، وبعد الثورة الكمالية قيل أن موطن الأتراك الأول في أواسط أسيا هو مهد الحضارات التي انتشرت قبل الميلاد بآلاف السنين إلى الصين والهند وغربي أسيا وشمالي إفريقيا وأوروبا. انظر، احمد عبد الرحيم مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1968م، ص، 261.

[3] بان غانم احمد الصائغ، المرجع السابق، ص، 7.

[4] **الشريف حسين**:(1270-1350هـ / 1854-1931م)، كان من أهم أعماله حملته ضد الإدريسي عسير مؤزرة للأتراك ،وبعد ما فعلته جمعية تركيا الفتاة بواسطة حزبها العلني الاتحاد والترقي من سياسة التتريك وقتل جمهرة من أمراء العرب كونوا جمعية خاصة بهم،وانتهز البريطانيون الفرصة أثناء الحرب العالمية الأولى التي خاضها الحلفاء ضد ألمانيا وكانت الدولة العثمانية قد وقفت إلى جانب هذه الأخيرة فراحت بريطانيا تتصل بشريف حسين ودارت محادثات عرفت بمحادثات الشريف حسين ماكماهون، منوها له بتمليكه على العرب ، فأعلن الثورة العربية في مكة عام(1335هـ -1916م) في مكة المكرمة على الأتراك ، وأمدوه بالسلاح ولقب بالملك المنقذ ، ووجه ابنه إلى سوريا مع الجيش البريطاني ، ووجه أخيه عبد الله ليثأر لأخيه عندما اخرج من سوريا للمزيد انظر احمد الشويخات ، المرجع السابق الموسوعة الالكترونية

[5] محمد جكيب ،المرجع السابق، ص،58

[6] نفسه ،ص،59

المتوحدون في إطار الدولة العثمانية مستعمرين ،وهي نهاية مأساوية فمصر انجليزية ،وسوريا فرنسية ،والعراق انجليزية ،وفلسطين مشروع صهيوني.

2 – اقتصاديا

السيطرة على اقتصاد الدولة العثمانية: قامت الجاليات الأجنبية بإحكام سيطرتها على الحياة الاقتصادية وذلك بفضل الامتيازات الممنوحة لها، حتى تمكنت من احتكار التجارة الخارجية للدولة العثمانية لصالحها، وبالتالي أصبح التجار المحليين في عزوف عن ممارسة التجارة، وهذا بدوره فسح المجال أمام الأجانب لاستغلال التجارة واحتكارها، وعليه تراجع مردود التجارة الخارجية التي كانت تمول الخزينة العثمانية[1]، وكان ليهود الدونمة دورهم البارز في الميزان الاقتصادي[2]، فما إن وطئت أقدامهم الدولة العثمانية حتى بدؤوا في العمل على تطوير علاقاتهم التجارية الخارجية وإثارة الفتن والسيطرة على أسواق المال والذهب[3]، وذلك من خلال النقود الاسبانية والنمساوية التي جلبها اليهود بتجارتهم وكان الأتراك يفضلونها، وسيطرت بعض الأسر اليهودية على التزام الجمارك، واحكموا قبضتهم على كل ما يتعلق بالأمور المالية كالصيرفة، وابتزوا الأموال بطرق ملتوية[4] وسيطروا على سك العملة، فتولوا سك العملة في الدولة العثمانية ردحا من الزمن، وبالتالي كانت العملة تسك مغشوشة أو ناقصة القيمة خاصة في فترة ضعف الدولة العثمانية[5]، وبالتالي اصحب هذا الأجنبي يسيطر على وسيلة التعامل التجاري والتي هي النقد، فكان هذا سببا في خفض قيمة النقد المحلي، وكانت الضحية في هذه العمليات المصرفية التجارية طبقات الشعب الدنيا والصناع وصغار التجار، والمأجورين من جميع الفئات الذين

[1] الغالي غربي،المرجع السابق، ص، 163.

[2] هدى درويش، ج1، ص، 99.

[3] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، المرجع السابق، ص، 275.

[4] يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص، 20.

[5] اماني بنت جعفر بن صالح الغازي،نفس المرجع ، ص، 276.

كانت لا تصلهم إلا العملة المزيفة[1]، وكانت تستخدم في شراء سلع باهظة الثمن[2].

وبعد الشكاوي التي قدمت من طرف الدمشقيين اصدر السلطان "محمود الثاني" أوامره بعزل صيارفة[3]، اليهود، إلا أن ذلك لم يجدي نفعا لان كل الحسابات والتسجيلات كتبت باللغة العبرية، كما أنهم لعبوا دورا آمر في ظلم فلاحي دمشق، فكانوا يقومون برفع سعر النقد قبل جمع أموال الميري من الفلاحين فيضطرون للدفع بالسعر المرتفع، وهكذا استطاع اليهود جني الأرباح الطائلة[4]، وقد سيطروا على اغلب ضرائب المزارع ومراسي استانبول ومقاطعات الدولة، وقاموا بجباية رسوم مرتفعة للجمارك لمن هو ليس يهودي، وأيضا لم تستطع الحكومة العثمانية عزلهم نهائيا بسبب معلوماتهم الفذة لقيمة البضائع وعن عدد السكان اللذين يستطيعون الدفع[5].

واحتكر التجار اليهود عمليات التحويل المالي بين التجار الأوروبيين والحكومة العثمانية، وكانت لهم صلات وثيقة مع التجار النصارى في دمشق وحلب، وفي مطلع القرن السابع عشر بدأت طائفة جديدة من[6] التجار تظهر على حساب الهيمنة اليهودية وتمثلت في التجار الأرمن،وقد وصل الأرمن إلى رئاسة الغرفة التجارية في العاصمة استانبول، أما في القرن الموالي فقد زادت سيطرت اليهود والنصارى على التجارة المحلية والإقليمية، وقد بلغ عدد سفن الأجانب النصارى العاملة في مياه البحر المتوسط في عام (1231هـ- 1816م) ستمائة سفينة تجارية يديرها ثلاثين ألف بحار، وتلك الإمكانيات جعلتهم مؤهلين لتهديد الأسطول السلطاني

[1] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص، 258.

[2] هدى درويش، المرجع السابق، ص، 99.

[3] ليلى الصباغ، نفس المرجع، ص، 258.

[4] يوسف نعيسة، نفس المرجع، ص، 22.

[5] ستانفورد ج شو، المرجع السابق، ص، 179.

[6] ياسر عبد العزيز قاري، المرجع السابق، ص، 500.

العثماني[1].

قام الأجانب بزيادة النشاط التجاري بين الأمم الأوروبية والدولة العثمانية لتمهيد السبيل أمام أهدافهم التخريبية، فكانت خطورتهم تكمن في رهن الاقتصاد المحلي للدولة العثمانية للدول الأجنبية[2]، فأصبح للسلع الأوروبية سيادة على السلع الوطنية، وتراجع نظام الحرف والصناعات التقليدية أمام غزو السلع الأجنبية[3]، وكان تدفق السلع الأوروبية على الأسواق العربية يتطلب خدمة العلاقات بين الأسواق المحلية والأوروبية، مما أدى إلى تحول التجار العرب بوجه عام الوسطاء يعيدون بيع السلع الأوروبية في السوق الداخلية، والى مشترين بالجملة للمواد الأولية من اجل تصديرها للخارج، واستنادا إلى الامتيازات الأجنبية للتجار الأجانب كان يتم خفض الرسوم المفروضة على وارداتهم وصادراتهم، وكانت التجارة بين بلدان الشرق الأدنى وأوروبا تتم أساسا عن طريق المسيحيين[4].

إن هيمنة غير المسلمين على التجارة والصرافة تزامنا مع الفترة الحرجة للدولة العثمانية، فاضطرت إلى الاستدانة من الداخل والخارج، الأمر الذي فاقم من حجم التغلغل الأجنبي في مؤسساتها[5].

3- فكريا

يخلو الجانب الفكري من أفكار الأجانب، فتمثل الأثر السلبي :

[1] ياسر عبد العزيز قاري،المرجع السابق،ص ص، 500- 503.

[2] نفسه، ص، 489.

[3] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص، 88.

[4] حسين العودات، المرجع السابق، ص ص، 165و ما بعدها.

[5] ياسر عبد العزيز قاري،نفس المرجع ، ص، 502.

– **الاستشراق**: بدأ الاستشراق لدراسة الإسلام واللغة العربية، وبعد ذلك توسع ليشمل جميع ما يتعلق بالشرق[1]

من مخطوطات وتراث[2]، وأول دعوة للاستشراق جاءت على لسان البارون "دوو يتز" سنة 1664م الذي طالب بتأسيس مدرسة لتعليم التبشير، يتعلم طلابها اللغات الشرقية[3]، ومن أقوال المستشرقين "**جيب وميليفان وبن روزو**" وأمثالهم: (لنبتهل إلى الله طالبين أن يمدنا بعون منه لنستطيع تعميد نفوس أولئك الشباب الذين يترددون علينا من الكليات)، إذن فالهدف الأول للاستشراف كان هدف ديني بمعنى التبشير[4].

تناول الاستشراق اليهودي الدولة العثمانية وبالأخص السلطان عبد الحميد الثاني، إذ تعرض له اليهود بالتشويه وأطلقت عليه عدة ألقاب منها: السلطان الأحمر، السلطان البخيل، وأطلقت على عهده عهد الاستبداد الحميدي[5]، وعلى سبيل المثال نذكر "برنارد لويس"[6] اتجه في السنوات الأخيرة إلى البحث والكتابة في الدولة العثمانية، ويلجا هذا المستشرق في كتابة أفكاره إلى الحذر والدقة وافتعال حسن النية والى المغالطة، والعبث بذهن قارئه باستخدام مصادر ضعيفة[7]، والكتابات المفسرة لكتابات المستشرقين: الوجدان النصراني المفعم بالحقد على المسلمين، طبيعة الاستعلاء الغربي على الأمم نتيجة ما يسمى بالجنس الأبيض، عجز المستشرقين

[1] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، المرجع السابق، ص، 20.

[2] ليلى صباغ، المرجع السابق، ص، 898.

[3] موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص، 165.

[4] نفسه، ص، 172.

[5] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي،نفس المرجع ، ص، 290.

[6] **برنارد لويس**: مستشرق كبير، صهيوني متعصب، وهو أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة لندن، تتلمذ على يده كثير من الأساتذة العرب الجامعيين، درس في جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية، له أبحاث ومؤلفات في مختلف نواحي التاريخ الإسلامي. انظر: محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، د ط، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، (1414هـ / 1994م)، ص، 73.

[7] محمد حرب، المرجع السابق، ص، 74.

عن امتلاك ناصية اللغة العربية واستيعاب البيان العربي والبلاغة[1].

وقد وضع اليهود عدة نقاط ووضعوا خططا ساروا عليها لتشويه صورة الحكم العثماني مستغلين مرحلة الضعف التي أغرت الحاقدين من صليبيين ويهود بالقضاء على الإسلام في الدولة العثمانية، والمحور الأساسي الذي ارتكزوا عليه هو الدعاية والصحافة، وتوجهت جهود الصهيونية نحو الإعلام لمعرفتهم بقوة دوره في المجتمعات الإسلامية، فعملوا على امتلاك المؤسسات الإعلامية وتوجيهها نحو أغراضهم المشوهة، وسعوا إلى نشر الكتب والرسائب التي أعلنوا فيها الحرب على حجاب المرأة وطرحوا قضية الاختلاط في الجامعات[2].

والاستشراق هو من حرك الروح الاستعمارية من خلال توجيهات المستشرقين من مستشاري وزارات المستعمرات أمثال المستشرق الفرنسي "**هانوتو**" الذي كتب مقالا، ومما جاء فيه:

- انه ليست للمسلمين أصالة في الثقافة وليست لهم قيم ذاتية.

- على المسلمين أن يأخذوا بالحضارة الأوروبية المسيحية.[3]

وتحالفت اليهودية مع الصليبية الغربية الحاقدة في دول أوروبا (فرنسا، روسيا، اليونان، ايطاليا، النمسا) لمحاربة الدولة العثمانية وحرمانها من الهدوء والاستقرار[4].

كما أن المستشرقين تيسر لهم القيام بأعمال الجوسسة لبلادهم بحجة الحفريات والبحث عن الآثار العتيقة، إذ يذكر السلطان عبد الحميد الثاني أن الانجليز طلبوا منه أن يسمح لهم بالبحث عن الآثار القديمة في سوريا

[1] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، المرجع السابق، ص، 38.

[2] نفسه، ص، 288.

[3] موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص، 261.

[4] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، نفس المرجع، ص، 288.

والحجاز، ثم طلبوا منه السماح لهم بحفر آبار المياه للشعب الحجازي، إلا أن السلطان لم يرضى بذلك لأنه تفطن لغرضهم الخفي وهو البحث عن البترول.

كما قام المستشرقون بالتدريس في الجامعات التركية مثل "ارنست فون استر" في قسم الفلسفة بجامعة استانبول و "فون كاباين" في جامعة أنقرة وعق إنشاء جامعة استانبول عمل اثنان وثلاثون أستاذا من

الألمان مناصب قيادية في الجامعة، وكان أكثرهم يهود، وبالتالي ساعد هذا على نشر نفوذ المستشرقين الفكري، أما موضوعاتهم التي تناولوها هؤلاء المستشرقين لم تكن عملية ذات قيمة وإنما كانت تافهة هدفها التلاعب بمشاعر الناس وتشجيعهم على الانتماء القومي وتفتيت المجتمعات الإسلامية، ومن المؤسسات التي للبحث في ثقافة الأتراك وتاريخهم:

- معهد التركيات سنة (1342هـ- 1924م).

- مجمع التاريخ التركي.

- معهد أبحاث الثقافة التركية.

- مؤسسة الحقوق التركية[1].

وليصل المستشرقون إلى أهدافهم عملوا على إنشاء الكتب في الموضوعات الإسلامية وعلى رأس هذه الكتب "دائرة المعارف الإسلامية"، فقد تناولت الإسلام بعقائده ونظمه التشريعية، وملئت هذه الموسوعة.

بالأباطيل عن الإسلام، وهي موسوعة أخرجت للقراءة في بداية القرن الرابع عشر هجري/ العشرين ميلادي على هيئة أبحاث منفصلة، مرتبة فيها المواد بحسب الحروف الهجائية، وصدرت منها طبعتان وترجمت إلى اللغة

[1] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، المرجع السابق، ص ص، 64-65.

العربية، وقد احتوت على كم هائل من المصطلحات في العقيدة والفقه واللغة والتصوف والفلسفة وتراجم لشخصيات إسلامية، ومعلومات عن التاريخ والبقاع والقبائل[1].

وتعتبر دائرة المعارف الإسلامية تتويجا لجهود المستشرقين على مر أعوام طويلة، وتعد أهم مؤلف

للمستشرقين وذلك لعدة أسباب:

- العدد الكبير للمستشرقين المساهمين فيها.

- حجمها الكبير، والمعارف المتنوعة فيها.

- استمرارية انتشارها، وتعدد لغاتها حيث أخرجت بالانجليزية والفرنسية والألمانية، وقد ترجمت إلى العربية والتركية وغيرها...

- لأنها تحمل الإسلام "دائرة المعارف الإسلامية" مما يجعل الكثير أو الجميع يطلع عليها، ولكنها في الحقيقة بعيدة كل البعد عن صفة الإسلام.

وبالتالي أصبحت مرجعا للكثير من الباحثين لأنها تحوي وفرة من المعلومات التاريخية ولكنه تاريخ مشوه ومليء بالغلاط[2].

فرغم خدمة العثمانيين للأجانب فلم يمنع ذلك من الحقد على الدولة العثمانية والتآمر على سلامتها واغتصاب أموالها، والبطش بقادتها، وتشويه سمعة الزعماء ورجال الفكر والسياسة من اجل زعزعة ثقة الشعب بقادته بتشويه سيرته وتاريخه.

[1] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، المرجع السابق ، ص، 232.

[2] نفسه ، ص ص، 232- 233.

المطلب الثالث : مواقف بعض العلماء من الأفكار الغربية.

لقد كان للتواجد الأجنبي وتداعياته الفكرية أثرا، تجلى في ظهور "**النهضة العربية**"[1] بعدة تيارات واتجاهات مثلتها مجموعة من العلماء والمفكرين المسلمين ونذكر بعضهم فيما يلي :

جمال الدين الأفغاني[2] :هو احد العلماء الذين كان لهم مشرع إصلاحي مناهض للمخططات الغربية وتزامن تواجده الهجمة الشرسة التي تعرض ها العالم الإسلامي في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي ، والتدخل الأجنبي في شؤون الدولة العثمانية وانعكس هذا الوضع على أفكاره الإصلاحية ، وكان من أهم أفكاره في تصوره للنهضة الدينية الإسلامية ، اعتباره للإسلام انه هو مدينة إنسانية في كل النواحي ، و قد كون جيل من الشباب الأزهر في مصر ، وقاوم عملية التحديث والعلمنة التي كانت من وراءها بريطانيا ، كما انه أكد على الوحدة الإسلامية من خلال عدة قضايا

[1] **النهضة العربية** : هي تنبه المجتمع في كل أنحاء العالم العربي و الإسلامي منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى وجود حالة خمول وتبعية لا تنسجم مع ماضي العالم الإسلامي وحضارته الأصلية وسيادته السابقة ، وهي لا تلائم مع الإيقاع الحضاري الذي كانت تعيشه أوروبا ومن بين أهم الأسباب التنظيمات لعثمانية،الإرساليات التبشيرية.الغالي غربي،المرجع السابق،ص ص،213-218

[2] **جمال الدين الأفغاني**:(1254-1315هـ /1838_1897م)، محمد بن صفرد الحسيني الأفغاني ، فيلسوف الإسلام في عصره واحد الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحضارة ولد في اسعد أباد بأفغانستان ،|تلقى العلوم العقلية و النقلية وتتلمذ على يده بأفغانستان ،تلقى العلوم العقلية و النقلية وتتلمذ على عدة شيوخ اشتهر بحركته الإصلاحية الدينية والسياسية ، أهم منشوراته" تاريخ أفغانستان " "رسالة على النهرين "التي ترجمها إلى العربية تلميذه محمد عبده "خطرات جمال الدين الأفغاني : والتي جمعها تلميذه محمد المخزومي. :انظر خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ،ج6**، ط5، دار العلم للملايين بيروت 2006،ص ص،168-16.

وأسس مجلة "**العروة الوثقى**" [1]مع "**محمد عبده**" [2] التي تحث على إحياء الإسلام الذي جمع بين الشريعة والعقل من أجل إحياء امة إسلامية جديدة[3].

محمد رشيد رضا[4]: كانت أبرز أفكاره الإصلاحية تتمحور في التربية الدينية ، والعمل على مزج كل من العرب والترك والروم و الأرمن ...في وحدة متكاملة رغم المعيقات الثلاث ، الشيعة والسنة ، اللغة ، و النزعة القومية ، وقد ضمن أفكاره في "جريدة المنار"[5].

وعلى العموم تعددت وقفات محمد رشيد رضا مع الإصلاح الذي اخذ شكل نتاج فكري وتحرك سياسي وبمراحل من تأثره بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وهجرته إلى مصر واشتغاله بالصحافة وصولا إلى المنار [6].

---

[1] **العروة الوثقى**: ا صدر أول عدد لها يوم الخميس 13 مارس 1884م، 15 جمادى 1301هـ، استمرت حوالي 8 أشهر حتى توقف بعد الصدور العدد 18والاخير في 17 أكتوبر 1884م ، وقد احتلت العروة الوثقى في تاريخ الصحافة الإسلامية الحديثة مكانة مرموقة لم تصل أي جريدة لها وقد انتشرت في كل من مصر و الشام و العراق والجزيرة العربية وغيرها من البلدان الإسلامية ، واستطاعت أن تبلغ رسالتها الايقاضية لدى الشعوب الإسلامية للمزيد انظر ، سيد هادي خسرو شاهي ، **الآثار الكاملة السيد جمال الدين الأفغاني الشيخ محمد عبده، ، العروة الوثقى ،ج1**، د ط ، مكتبة الشروق الدولية ، د د ن ، د ب ن، د س ، ص70.

[2] **محمد عبده**:(1260_1323/ 1849_1905م)، مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام ، ولد في إحدى القرى الغربية بمصر درس بالجامع الأحمدي بطنطا ثم الأزهر ، اشتغل في التعليم وكتب في الصحف مثل العروة الوثقى ومن أهم مقالاته ، "الرد على هانوتو" ، "تفسير القران الكريم" وغيرها. انظر الزركلي، المرجع السابق، ص، 252.

[3]الغالي غربي، المرجع السابق،ص ص،236-237.

[4] **محمد رشيد رضا**: ولد في 24 جمادى الأولى سنة 1282هـ،يعد من المجددين في الفكر الإسلامي والذين كان لهم البال الطويل في فهم الإسلام فهما عصريا ، أسس جريدة المنار ، اقبل على السياسة مشاركا في المؤتمر السوري العام بين ستني (1919 – 1920م) ، وانضم إلى الاتحاد السوري الذي تألف في مصر كما ترك في المؤتمرات الإسلامية التي عقدت في مكة والقدس وكان صديق الشيخ حسن البانا ، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ، وقد تقلب رضا في مواقفه وميوله السياسية ، من موال لدولة العثمانية ، وداعية للجماعة الإسلامية ، إلى نصير الدعوة القومية العربية ، ولقياجتها الهاشمية ثم انقلب على الهاشميين وغدا نصيرا للدعوة السلفية الوهابية مؤيدا للملك عبد العزيز آل سعود . علي محافظة ، المرجع السابق ، ص51.

[5] فاطمة الزهراء رحماني، **الجامعة الإسلامية بين السيد جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني ، أواخر القرن 19م ومطلع القرن 20م** ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ حديث ومعاصر ، إشراف نادية طرشون كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،قسم تاريخ،، جامعة المدية ، 2014_2015م،ص 19.

[6] نجاة عبد الكريم، المرجع السابق، ص،129.

محمد عاكف [1]:لقد دافع محمد عاكف عن الروابط الإسلامية من خلال تفاسيره من القران الكريم

[2]قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [3] كما أنه لا يقف ضد الثقافة الغربية من تقدم تكنولوجي في الأمور المادية من صناعة و إنشاء، ولكن لا يجوز استيراد الفكر والثقافة الغربية لتعارضها مع تعاليم الإسلام [4].

وقد أبرز أن القومية العربية و الطورانية كان سببها الانجليز من أجل تحطيم الخلافة الإسلامية ولتسهيل عملية غزو البلاد، و قد كان يتمسك بروح الجماعة[5] بقوله: "إن مضيتم في إهمالكم الرابطة الدينية ستهلكون ولن تستطيعوا بعد ذلك جمع الأمة في الدنيا مرة أخرى"[6].

الشيخ مصطفى صبري:[7] كان الشيخ مصطفى صبري من الشيوخ الذين كانوا يرفضون الأفكار القومين، فوقف ضد القوميين وضد الاتحاديين وناد باستخدام الشورى وبين مساوئ السياسة القومية، وقد وألف كتاب

---

[1] **محمد عاكف** : من مواليد 1873م وكان محمد عاكف عصره مليء بالتنظيمات المعادية للإسلام كما انه كان دكتورا في البيطرية وكان عمله يركز على الدفاع عن الإسلام وضد القومية و الفكر الغربي . ماجد بن صالح المضيان ، المرجع السابق، ص،362_366.

[2] عيسى مصطفى بوجار، **محمد عاكف وجهوده في الدعوة الإسلامية** ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه ، في العقيدة، إشراف الأستاذ الشيخ محمد قطب، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم،العقيدة، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعدية، (1412هـ /1996م)،ص، 227.

[3] سورة آل عمران، الآية 103.

[4] صالح بن مضيان المرجع نفسه ، ص372.

[5]. عيسى بوجار المرجع السابق،372.

[6] نفسه،287.

[7] **الشيخ مصطفى صبري** ، هو شيخ الإسلام في الدولة العثمانية ، ونضرا لأهميته من ناحية منصبه السياسي دافع عن الإسلام و أحكامه مبينا الخطط وكشف عن نوايا الغرب كما اشتهر في توجيه الأمة إلى العمل بالشريعة الإسلامية. للمزيد انظر: سليمان القوسي، الشيخ **مصطفى صبري و موقفه من الفكر الوافد** ،ط1،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، (1418هـ /1998م)، ص،98.

"**النكير على منكري النعمة** "،وقف ضد الكماليين و رفض فكرة فصل الدين التي كانت تمهد للقضاء على الخلافة[1]، ورأى أن كمال أتاتورك و الاتحاديين لهم نفس الهدف ، و أنهم شرذمة من مختلفي العروق والأجناس، اتفقوا على اختلاس سلطة الدولة العثمانية وحصرها، بقصد المنافع الذاتية حتى ولو كان ذلك بزوال الدولة وخراب البلاد وضياع نفوس أمتها [2].

عبد الرحمان الكواكبي[3]: يرى هذا المصلح أن للدولة العثمانية اليد الكبرى في الحالة التي وصلت إليها من ضعف وانهيار، بسبب سياساتها، مما جعل بعض الأمم تدخل تحت السيطرة الأجنبية، ونقد السلطة ووصفها وسياستها بالاستبداد في كتابه "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"، حيث استند إلى الشرع الإسلامي تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [4].

وقال أن هذه القصة تعلم الملوك الاستشارة من الرعية وان تحفظ القوة والبأس في يد الرعية وان يقوم الملوك بالتنفيذ فقط [5].

---

[1] صالح بن مضيان المرجع السابق، ص، 278.

[2] .سليمان القوسي ، المرجع السابق، ص، 98.

[3] **عبد الرحمان الكواكبي**: (1256هـ-1320هـ/1849م-1902م) الملقب بالسيد الفرابي وهو من رجال الإصلاح ، أنشاء "جريدة الشهباء"،و "جريدة العطاء " و له عدة كتب "أم القرى "وطبائع الاستبداد في مصارع الاستبداد". للمزيد الغالي غربي ، المرجع السابق،ص،239.

سورة النمل ،الآية 32،33،34.

[5] عبد الرحمان الكواكبي ، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد** ،د ط ،كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر،د س، ص،26.

أحمد جودت باشا[1]: يعتبر من بين الذين أخذته الأنفة على بلاده وعلى الإسلام من التنظيمات التي أدخلت على الدولة العثمانية من بينها الإصلاحات في مجال القضاء، إذ عدلت القوانين الشرعية بالقوانين الغربية وعلى هذا الأساس قام احمد جودت باشا بتأسيس[2] **"المجلة العدلية"** [3].

[1] **أحمد جودة باشا** : (1238 – 1312هـ) هو الوزير أحمد جودت باشا ولد في لوفجة التابعة لولاية طونة تقلد عدة مناصب منها المجمع العلمي العثماني (الأكادمية)، تقلد كتابة وقائع البلاد وعين قاضي لغلطة، كما انه كان يقوم به حق القيام ، وكان علاما فاضلا اشتهر با لعلوم الإنسانية والتاريخ ، أشهر كتبه "تاريخ آل عثمان بتاريخ جودت باشا ". للمزيد أنظر: جرجي زيدان ج2 المرجع السابق،ص،216 و ما بعدها .

[2] علي المحافضة، المرجع السابق ،ص،13.

[3] **المجلة العدلية**: هي مجلة تشريع القوانين وفق أحكام الشرعية الإسلامية وقد داوم يها جودت باشا على نشر أفكاره المتصلة بفرض تطبيق القوانين الغربية ،صالح بن ماجد المضيان، المرجع السابق،ص، 355.

خاتـــمـــــة

من خلال بحثنا في موضوعنا هذا "الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية" اتضحت لنا مجموعة من النتائج نذكرها كالتالي:

– تعاملت الدولة العثمانية مع الأجانب وفق نظام الملل، بمعنى انه تم تصنيفهم على أساس المذهب الديني ليس على أساس الجنس أو اللغة أو القومية، واستنادا إلى الشرع الإسلامي نعم هؤلاء الأجانب بكل أنواع الأمان ولم يعلم من أحداث التاريخ شيء يدان به المسلمون في معاملتهم للأجانب.

– انقسمت الطائفة اليهودية إلا ثلاث طوائف (الربيون، القراؤون، السامرة) وكانت الطائفة الربانية هي الطائفة اليهودية الرئيسية حيث سيطروا على كل شيء في حياة اليهود.

– حدثت القطيعة الكبرى في جسد الطائفة المسيحية بعد مجمع خلقيدونية سنة 451م، وانقسمت الطائفة إلى ثماني طوائف، وكانت طائفة الروم الأرثوذكس اكبر الطوائف المسيحية والأكثر نفوذا، وكانت الملة الرئيسية المعترف بها من طرف الدولة العثمانية.

–سياسة التسامح الديني والتعايش الطائفي اللذين اتبعتهما الدولة العثمانية، واللذين كانا يقضيان باحترام المعتقدات والثقافات والشعائر الدينية لغير المسلمين المقيمين في ديار السلطنة العثمانية كانت سببا في توفر السلام والأمان داخل المجتمع العثماني، دون أن نغفل أن هذه السياسة زادت عن حدها.

–فتحت الدولة العثمانية أبوابها أمام اليهود (محنة محاكم التفتيش بالأندلس) حيث تشرد منهم مئات الآلاف، ورفضت كل الدول استقبالهم لسابق سوء صنيعهم وسمعتهم الشهيرة في الفساد، فكانت الدولة العثمانية الملجأ الوحيد لهم للهروب من الطغيان والاضطهاد، وتمتعوا فيها بكامل الحرية والأمان اللذين لم يجدوها في أي دولة أخرى.

- كانت سياسة الامتيازات الأجنبية الباب الواسع الذي ولجت منه الجاليات الأجنبية إلى الدولة العثمانية، إذ تضمنت في بنودها امتيازات وتسهيلات مست مختلف الجوانب (سياسيا، اقتصاديا، دينيا، قضائيا...).

- كانت الدولة العثمانية تنظر إلى الجاليات على أنها جزء من نسيج هذه الدولة، فمارسوا نشاطاتهم بكل حرية إلى جانب أفراد المجتمع العثماني، ولم تقف الدولة العثمانية كعائق أمام ممارستهم لأنشطتهم.

- أتاحت الدولة العثمانية للأجانب قدرا كبيرا من الحرية الدينية، إذ كانت تسمح لهم بترميم معابدهم وكنائسهم وممارسة شعائرهم الدينية داخلها، كما كانت لهم مناصب دينية يمتهنوها لتنظيم حياتهم الدينية.

- مارست الجاليات الأجنبية نشاطها الفكري، و إنشاء المدارس الأجنبية التي كان الغرض منها إرسال البعثات التبشيرية، كما أصدرت عدة صحف لترويج أفكارها الدينية أو الطائفية أو القومية.

- عاشت الجاليات في المجتمع العثماني محافظة على خصوصياتها الاجتماعية، فكانت تحتفل بأعيادها وتتميز بلباسها ولها مقابرها الخاصة، كما تمتعت بالحصانة القضائية، حيث لا يجوز مقاضاة الأجنبي أمام المحاكم الإسلامية، بل أمام قنصلية بلاده ووفقا لقانون بلاده أيضا، إلا أنهم لجؤوا أحيانا إلى القضاء الإسلامي.

- احتل الأجانب في الحياة الاقتصادية مكانة اكبر، وبحكم أن الدولة العثمانية أطلقت لهم حرية التجارة احتكروا العديد من التجارات كتجارة الحرير، كما أنهم برعوا في الصياغة والصيرفة.

- فرضت الدولة العثمانية على الأجانب مجموعة من الضرائب الشرعية ومجموعة من الضرائب العرفية.

- ترتبت عن تواجد الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية أثار سلبية وايجابية، فتمثل الجانب الايجابي في إدخال مصطلحات جديدة مثل الدستور، التنظيمات، الإصلاحات، وكذلك إدخال الطباعة التي أدت إلى ترجمة الكتب، والاهتمام بالآداب ، وان كان الغرض منها التغلغل في الدولة العثمانية.

– أما الآثار السلبية فتتمثل في كونها مثلت الأداة التي استغلتها الدول الأوروبية للتدخل في شؤون الدولة العثمانية عن طريق فرض الحماية على اليهود والنصارى.

– كان اليهود يعملون في الخفاء وينخرون جسد الأمة ويروجون لكل المنظمات والأفكار الهدامة، وخير دليل على ذلك دعمهم لجمعية الاتحاد والترقي، وعملهم الجاهد لإسقاط السلطان عبد الحميد الثاني عن عرشه.

– سيطروا على اقتصاد الدولة العثمانية حيث احكموا قبضتهم على الأمور المالية، واغرقوا الأسواق بالبضائع والسلع الأوروبية، وهذا يرجع بشكل أولي إلى الامتيازات التي منحت لهم.

– اتخذ اليهود والنصارى الاستشراق للتعبير عن نظريتهم الدينية اليهودية والمسيحية، كما أتاح لهم هذا إمكانية الجوسسة، وكان هدفهم الأول من الاستشراق هو تشويه التاريخ الإسلامي عامة.

– بعد ظهور التأثيرات الغربية في الدولة العثمانية التي أدت إلى إضعاف الدولة العثمانية ، كان لا بد من تحرك ينجي الدولة الإسلامية، ومنه برزت مجموعة من العلماء المصلحين اللذين اختلفت وجهات نظرهم حول التغريب، ولكن في الإجمال كانت تتمحور حول إتباع الشريعة الإسلامية بدلا من الاستناد إلى التنظيمات الغربية.

مهما فعل المسلمون ومهما قدموا من تنازلات ومهما تساهلوا مع الجاليات ، فلن يرضوا عنهم أبدا، لأنهم أولا وأخيرا هم أعداء الله ورسوله.

وصدق الشاعر عندما قال:

كل العداوات ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين

وأخيرا نختم بحثنا هذا بالحقيقة التي أوردها الله عز وجل في كتابه الكريم، إذ: "قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠﴾ البقرة: ١٢٠ .

قائمة الملاحق

ملحق 1: أنموذج عن معاهدة العثمانية الفرنسية عام 924هـ_1536م[1]

البند 1: قد تعاهد المتعاقدان بنيابة عن جلالة الأعظم وملك فرنسا على السلم الأكيد و الوفاق الصادق مدة حياتهما وفي جميع الممالك والولايات والحصون والمدن،والموانئ والثغور والبحار و الجزائر وجميع الأماكن المملوكة لهم الآن ، او التي تدخل في حوزتهم فيها بعد ، يجوز لرعاياهما وتابعيهما السفر بحرا بمراكب مسلحة أو غير مسلحة و التجول في بلاد الطرف الآخر و المجيء إليها و الإقامة بها أو الرجوع إلى الثغور والمدن وغيرها بقصد الاتجار على حسب رغبتهم بكامل الحرية بدون أن يحصل لهم أدنى تعدي عليهم أو على متاجرهم .

البند2: يجوز لرعايا وتابعي الطرفين البيع والشراء و المبادلة في كافة السلع الغير ممنوع الاتجار فيها ولسيرها ونقلها برا وبحرا من المملكة إلى أخرى مع دفع العوائد والضرائب المعتادة قديما بحيث يدفع الفرنساوي في البلاد العثمانية ما يدفعه الأتراك ، ويدفع الأتراك ما يدفعه الفرنساويه ، بدون أن يدفع الطرفين عوائد أو ضرائب أو مكوسا أخرى .

البند3: كلما يعين ملك فرنسا قنصلا في مدينة القسطنطينية أو في بيرا أو غيرهما من مدائن المملكة العثمانية كالقنصل المعين الآن بمدينة السكندرية بمصر قبوله ومعاملته لائقة ويكون له أن يسمع ويقطع بمقتضى قانونه في جميع ما يقع في دائرته من القضايا المدنية و والجبائية بين رعايا ملك فرنسا بدون أن يمنعه من ذلك الحاكم أو قاضي شرعي "صوبا شي" أو أي موظف آخر ولكن لو امتنع احد رعيا الملك عن إطاعة أوامر أو أحكام القناصل فله أن يستعين بموظفي جلالة السلطان على تنفيذها وعليهم مساعدته و معاونته وعلى أي حال ليس للقاضي الشرعي أو أي موظف آخر أن يحكم في المنازعات التي تقع بين التجار الفرنساويين وباقي رعيا فرنسا حتى لو طلبوا منه الحكم بينهم وان اصدر حكما في مثل هذه الأحوال يكون حكمه لاغيا لا يعمل به.

البند4: لا يجوز سماع دعاوي المدينة التي يقيمها الأتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعيا جلالة السلطان ضد التجار أو غيرهم من رعيا فرنسا و الحكم عليهم فيما ما لم يكن مع المدعين سندات بخط المدعي عليهم حجة صادرة من القاضي الشرعي أو القنصل الفرنساوي، وفي حالة وجود سندات أو حجج لا تسمع الدعوى أو شاهدة مقدمها إلا بحضور ترجمان القنصل .

البند5: لا يجوز للقضاة الشرعيين أو غيرهم من مأموري الحكومة العثمانية سماع أي دعوى جنائية أو الحكم ضد تجار ورعيا فرنسا بناءا على شكاوى الأتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا الدولة العلية ، بل على القاضي أو المأمور الذي ترفع إليه الشكوى أن يدعو المتهمين بالحضور بالباب العالي محل إقامة الصدر الأعظم الرسمي وفي حالة عدم وجود الباب المشار إليه أي إذا حصلت الواقعة في محل غير

[1].محمد فريد بيك ، المرجع السابق ،ص ص،224_229.

الأستانة ، يدعوهم أمام اكبر مأموري الحكومة السلطانية وهناك يجوز قبول شهادة حابي الخراج والشخص الفرنساوي ضد بعضهما .

البند 7: لو تعاقد واحد أو أكثر من رعيا فرنسا مع احد العثمانيين أو اشترى منه بضائع أو استدان منه نقودا ثم خرج من الممالك العثمانية قبل أن يقوم بما تعهد له فلا يسأل القنصل أو أقارب الغائب أو أي شخص فرنساوي آخر عن ذلك مطلقا ، وكذلك لا يكون ملك فرنسا ملزما بشئ بل عليه أن يوفي طلب المدعي من شخص المدى عليه أو أملاكه لو وجدت بأراضي الدولة الفرنساوية أو كان له أملاك بها .

البند 15: كل تابع لملك فرنسا إذا لم يكن أقام بأراضي الدولة العلية 10سنوات كاملة بدون انقطاع لا يلزم بحراسة الأراضي المجاورة، أو مخازن جلالة السلطان ولا بشغل في الترسانة أو أي عمل آخر وكذلك تكون الرعايا في بلاد فرنسا

وقد اشترط أن يكون للبابا وملك انجلترا أخيه وحليفه الأبدي وملك قوسيا الحق في الاشتراك بمنافع هذه المعاهدة لو أرادوا بشرط أنهم يبلغون تصديقهم عليها إلى جلالة السلطان ويطلب منه اعتماد ذلك في ظرف ثمانية شهور تمضي من هذا اليوم.

الملحق2:نموذج عن المعاهدة العثمانية البريطانية لعام987هـ_1580م[1]

البند1:في ضل احترام الأول مملكة انكلترا الشروط المعاهدة وشيوع الأمن فان من جهتنا _أي السلطان تدعو إلى عدم التحرش أو التسبب في إشكاليات لرعايا الذين يأتون بممتلكاتهم و بضائعهم وسلعهم سواء بواسطة سفنها الشراعية أو سواها عبر البحر وكذلك رعياها المسافرين عليها وممتلكاتهم وفي المقابل فانه بتعين عليهم الانشغال بعملهم وواجباتهم المعتادة فقط .

البند4: يجب على طاقم الأسطول السلطاني أو سواه تقديم المساعدة خلال العواصف البحرية التي تعصف بولائك الرعايا أو في أي لحظة يحتاجون فيها يد العون وكذلك فانه لا يحوز لأحد أن يمنعهم أو يشق عليهم للحصول على احتياجاتهم من المؤوون والغذاء مقابل المال.

البند 6: لا يجوز إعاقة الانجليزيين المسافرين برا وبحرا ، لا طالما أنهم يلتزمون بعملهم ولا التحرش بهم وإيجاد المشكلات لهم .

البند7: يسمح لتحار و المترجمين المرافقين لهم بالدخول لأراضينا الآمنة برا وبحرا والقيام بالبيع والشراء والتبادل التجاري ولا يجوز لأي شخص من أمراء البحار و العسكر إعاقة التجار الانجليز في قدومهم و مغادرتهم أو التحرش بهم و عمالهم وبضائعهم، ودوابهم وذلك بعد دفعهم الضرائب بموجب القانون الخاص.

البند 10: في حالة ممارسة التجار و التراجمة و القناصل التابعين للانجليز وكذلك رعيا الأراضي التابعة لها لعمليات البيع والشراء و المتاجرة وتقديم الضمانات وغيرها من الأنشطة الشاملة لقانون الشريعة في أملاكنا الآمنة فأنه يجب عليهم التثبت من سجلات القاضي و التصرف في ضوء محتواها ،أما في حالة غياب أو فقدان أحد هاذين البرهانين بالحل والحجة . ودعاء التجار بخلاف القانون المقدس وبصورة باطلة فأنه ترفض دعواهم ويتم منعهم من الاستمرار في عملية المخادعة

البند 15: في حالة استبدال القناصل المتواجدون في كل من الإسكندرية و طرابلس والجزائر وتونس والقاهرة وطرابلس الغرب وغيرها بقناصل آخرين لا يسمح أن توضع عراقيل أمامهم.

البند16:في حالة ما إن كان القناصل منشغلين، يجب تأخير الأعمال المهمة، مثل: المرافقة القانونية حتى وصولهم وتفرغهم، وفي المقابل لا تكون لهم القناصل الحجج الواهية لتغيب.

البند 20:تمنح لبريطانيا جميع البنود المكتوبة و المسجلة التي حصلت عليها فرنسا و البندقية و الملوك الآخرين من أصدقاء الدولة بموجب المعاهدات المبرمة معهم، و لا يسمح لأحد بوضع عراقيل أمامهم أو التحرش بهم بما يخالف الشريعة ومعاهدتنا المكتوبة.

[1] رائد سامي حميد الدوري، المرجع السابق،ص ص،15 -18.

الملحق3:يمثل أنموذجا عن المعاهدة الروسية العثمانية لعام 1188هـ_1774م.[1]

البند1:كل ما سبق من عداوة و مخاصمة قد محي من الآن إلى الأبد وكل الأضرار و التداعيات التي صار الشروع في استعمالها و إجراءها من الطرفين بالآلات الحربية وبغيرها صارت نسيا منسيا إلى الأبد ولا يجري بعد الآن ولا في وقت ما انتقام، بل صار الصلح برا وبحرا عوضا عن العدوان بوجه لا يعتبر به التغير بل يرى ويصان من طرفي الهمايوني ومن قبل حلفائي ... وتكون قضية الموالاة مرعية بصورة بين الدولتين وفي أملاكها، وبين رعايا الطرفين بحيث لا تقع ضدية بين الفريقين لا سرا ولا جهرا ولا نوع من أنواع البغضاء و الأضرار ...

البند 2:بعد تنقيح هذه الهدنة المباركة و مبادلة صكوك التصديق ا ظهر بعض رعايا الدولتين عدم الطاعة أو خيانة أو اتهموا بتهمة أخرى ووجدوا في بلاد إحدى الدولتين لقصد الاختفاء أو التجاء ،فهؤلاء ، ما عادا اللين دخلوا منهم الدين الإسلامي في الدولة العلية ، والين تتنصر في دولة روسيا لا يقبلون أصلا ولا تجري لهم الحماية بل يرون إلى بلادهم .

البند 3: جميع قبائل القرم و طوائف بوجاق وقويان وبديسان وجانبويق ويد يحيكول التاتارية ،يصير قبولها و الاعتراف بحريتها بلا استثناء من طرف الدولتين ،بشرط إلا تكون تلك القبائل تابعة لدولة أجنبية بوجه ما والخانات المنتخبون من نسل أل جنكيز المستقلون من حكوماتهم باتفاق جميع الطوائف التتار يبقون عل ما هم عليه ، يحكمون في الطوائف المرموقة بحسب قانونهم وعاداتهم القديمة...

البند 8: تعطى الرخصة التامة لرهبان دولة روسيا و لسائر رعياها بزيارة بيت المقدس الشريف وسائر الأماكن المقدسة التي تستحق الزيارة ولا يتكفل المسافرون و لا السائحون بدفع الخراج و الجزية ولا يطلب ذلك منهم أثناء الطريق ، لا في القدس الشريف و في سائر الأماكن.

البند9:قد تقرر لأجل منفعة الدولتين سير سفنها وسفن تجارها و تعطى الرخصة من جانب دولتي العلية إلى السفن إلى روسيا وسفن تجارها بان تتمتع بتجارة في كل الاساكل وكل محل بالوجه الذي أجازته دولتي العلية فيها لسائر الدول وان يمكثوا المعابر والثغور المتصلة بالبحار المذكورة في العموم المرافئ و الشطوط الساحلية من البحر الأسود إلى البحر الأبيض ... وأعطيت الرخصة من جانب دولتي العلية إلى رعايا دولة روسيا بأن يتاجروا برا مع أهالي ممالك دولتنا العلية ويكون لهم ما حصلت به المساعدة و المسالمة والمعافيات من التجارة البحرية إلى أحب أصدقاءنا فرنسا وانجلترا... .

البند 14: يجوز لدولة روسيا أن تبني كنيسة على الطريق العام في محلة بك واغلي في جهة غلطة ، غير الكنيسة المخصوصة قياسا على سائر الدول ، هذه كنيسة العوام و تسمى كنيسة "دوسوغرنة" ،وتكون تحت حماية و صيانة سفير دولة روسيا إلى الأبد وتكون أمينة من كل تعرض ومداخلة ... .

[1] .منصور بن معاضة بن سعد العمري ن المرجع السابق ، ص ، 182-186.

الملحق 4:مرسوم عن لويس الرابع عشر يقضي بوضع الطائفة المارونية تحت الحماية الفرنسية

صادرا في:نيسان/ ابريل 1649م.[1]

" نحن لويس بنعمة الله، ملك فرنسا ونافار.. تحية إلى كل من تقدم إليه هذه: ليكن معلوما اننا بتوجيه من الملكة الوصية، سيدتنا وأمنا ذات الشرف الرفيع، قد أخذنا ووضعنا تحت حمايتنا ورعايتنا الخاصة، بمقتضى توقيعنا بيميننا، صاحب النيافة البطريرك وكل الاكليروس والموارنة المسيحيين من رجال دين أو علمانيين اللذين يقطنون جبل لبنان خاصة، وإنما لا نرغب في أن يدركوا هم ذلك، ولهذا الغرض أمرنا السيد "لاهاي دي بنتيته" المستشار في مجالسنا وسفيرنا في الليفانت (الشرق)، وكل من يخلفه في منصبه أن يبدو كل اهتمام بهؤلاء سلفي الذكر فرادى كانوا أم جماعات، بالعناية بهم والرعاية لهم والعطف عليهم وبالتوسط من اجلهم وبحمايتهم سواء أمام الباب العالي لعزيزنا السلطان صديقنا الوفي، أو أما تم أي جهة أخرى تتطلب ذلك حتى لا يتعرضون لأية معاملة سيئة، بل العكس سيتابعون شعائرهم ومسؤولياتهم الدينية.

ومنذ الآن وفي المستقبل نوصي قناصل ووكلاء قناصل (الأمة الفرنسية) في موانئ الليفانت وغيرهم ممن يرفع العلم الفرنسي أن يبدو اهتمامهم بأقصى ما لديهم من قوة نحو نيافة البطريرك المشار إليه ونحن أولئك الموارنة المسيحيين في جبل لبنان سالف الذكر، وان يساعدوا في تسفير الشباب وكل ماروني مسيحي قد يرغب في الرحيل إلى بلد مسيحي، سواء كان ذلك من اجل الدراسة أو لأي عمل أخر، وذلك دون اخذ أو تقاضي أي رسوم غير تلك التي يستطيعون دفعها، ومعاملتهم بمنتهى الرقة والكرامة، وأننا نطلب ونريد من أصحاب السعادة والفخامة الباشوات ومن موظفي عظمته (يقصد السلطان) أن يبدوا اهتمامهم وان يساعدوا صاحب النيافة رئيس أساقفة طرابلس وكل الاكليروس والموارنة المسيحيين، متعهدين من جانبنا بان نقوم بالمثل نحو كل من توصون به".

[1]. قيس جواد العزاوي ، المرجع السابق ،ص33.

ملحق رقم:05

"خريطة اسطنبول في القرن السابع عشر والثامن عشر "المنشئات الدينية ومواقع السكان"[1]

[1].الغالي غربي، المرجع السابق ،ص ،276 .

الملحق رقم:06

	1340هـ _1922م				1368هـ _1949م			
جنسية المدارس	دينية	طوائف	حكومات	حرة	دينية	طوائف	حكومات	حرة
مدارس فرنسية	16	13	1	6	113	41	_	1
مدارس بريطانية	17	_	10	6	11	_	1	10
مدارس يونانية	_	50	_	_	1	10	_	4
مدارس ايطالية	27	10	17	1	47	_	_	_
مدارس أمريكية	59	1	_	_	36	_	_	_
مدارس ألمانية	_	_	_	_	2	_	_	_
مدارس أجنبية أخرى	2	_	_	10	_	_	_	14
الجملة	201	73	28	24	10	51	9	42

"جدول يبين الهيئات المختلفة التي كانت المدارس الأجنبية تابعة لها عام:
1340هـ-1368هـ/1922م-1949م[1]"

[1] ماجد بن.صالح المضيان ،المرجع السابق ،ص،.429

ملحق رقم:07

اسم الطائفة	عدد المدارس
الروم	66 مدرسة
الأرمن	45مدرسة
البروتستانت	11 مدرسة
الكاثوليك	9 مدارس
اليهود	34 مدرسة

"جدول يمثل عدد مدارس الطوائف الأجنبية في فترة السلطان عبد الحميد الثاني[1]"

[1]سيف الله أبراجي ،السلطان عبد الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وانجازاته الحضارية ،ص 44.

ملحق رقم:08

الرقم	تاريخ الإنشاء	اسم المدرسة	المنشئ
1	1803	كلية القديس بينونت الفرنسية جالاتا للذكور galata st benoit	لازاريست la zarist
2	1839	المؤسسة الفرنسية للقديس بينويت بورفيدانس	فلزدي لاشاريت
3	1842	مدرسة القديس بيير الفرنسية للبنات "جالاتا"	فرير FR REE
4	1896	مدرسة القديس غابرييل الفرنسية	فرير

"جدول يمثل أهم المدارس والمؤسسات التعليمية للمبشرين الكاثوليك في استانبول"[1]

[1].إيمان عبد الرحمان هياحنة حنان سليمان ملكاوي، المرجع السابق، ص، 739.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **قائمة المصادر:**

1. القرآن الكريم برواية ورش.

2. ابن قيم الجوزية: **أحكام أهل الذمة**، مج 1،تح، أبي براء يوسف بن احمد البكري، ط1، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، (1418هـ – 1997م).

3. السلطان عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية** ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت (1397هـ/ 1977)م.

4. الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، تحقيق عبد الأمير علي مهنى، علي حسن فاعور، ط1،دار المعرفة، لبنان، 1993م .

5. عبد الرحمان الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، د ط، كلمات مصر عربية للنشر والترجمة، مصر،د س.

6. الغزي الشيخ كامل،**نهر الذهب في تاريخ حلب**،ط1،ج2،دار العلم العربي، حلب 1342هـ.

7. فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تر، إحسان حقي، ط 1، دار النفائس بيروت (1402 / 1981 م).

❖ **قائمة المراجع العربية والمستعربة**

1. أحمدٌ آق كندوز وسعيد أوزتورك، **الدولة العثمانية المجهولة**، د ط ،وقف البحوث العلمية استانبول، 2008م.

2. أحمد حامد إبراهيم القضاة، **نصارى القدس**، دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، مركز الدراسات للوحدة العربية، ط1، 2007م.

3. أحمد عبد الرحيم مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1968م،

4. آدم ميتز،**الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**. تر، محمد عبد الهادي أبو ريده، ج2. ط5. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دس.

5. إسماعيل احمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط،1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996.

6. أكرم حسن العلبي، **يهود الشام في العهد العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية في مركز الوثائق (991 – 1336هـ / 1583 – 1909م)**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة التاريخية بدمشق، دمشق، 2911م.

7. أكرم كيدو، **مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية** ، تر، حاتم الأيوبي ، ط1، جورس برس لبنان، (1413هـ/1992م).

8. أكمل الدين إحسان أوغلى، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر، صالح سعداوي، مج 1، د ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية،استانبول، 1999م.

9. ألبير أورتايلي، **العثمانيون في القارات الثلاث**، ترجمة عبد اللي، ط1، الدار العربية للعلوم، (1435هـ/ 2014م).

10. أندري ريمون. **الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر**. ج2. تر. ناصر احمد ابراهيم. ط1. المكتبة الاعلى للثقافة. 2005م.

11. بيتر شوجر ،**أوروبا العثمانية (1354–1854م) في أصول الصراع العرقي بين الصرب و البوسنة** ، تر، عاصم الدسوقي، ط1، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ،1999م.

12.بير موفق بني المرجة، **صحوة الرجل المريض**، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1984م وت، (1409هـ- 1989.

13. ثريا فاروقي وآخرون. **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية (1600–1914م)**. مج 2،تر، قاسم عبده قاسم. ط1. دار المدار الإسلامي. بيروت. لبنان. 2007م.

14. ثريا فاروقي، **الدولة العثمانية والعالم المحيط بها**، ط1، تر، حاتم الطحاوي، مر،عمر الأيوبي، ط 1، الدار المدار الإسلامي، بيروت،لبنان، 2004م.

15. جمال الدين فالح الكيلاني و زياد محمد الصميدعي، **تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث**، ط1، المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم، فاس، المغرب، 2013.

16. جيب هاملتون وهارلود بوون، **المجتمع الإسلامي واثر الحضارة الغربية في الفكر الإسلامي في الشرق الأدنى**، د ط. تر، عبد المجيد حسيب القيسي، دار المدى،1997م.

17.حسين العودات، **العرب النصارى**، عرض تاريخي، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، نيسان 1992م.

18. دكران سركو، **دمشق فترة السلطان عبد الحميد (1293 – 1325هـ / 1876 – 1907م)**، ط 1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2010م.

19.رفيق شاكر، **عبد الحميد الثاني وفلسطين**، مكتبة مدبولى، القاهرة 1990.

ستانفورد ج، شو، **يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية**، تر، الصفصافي أحمد قطورى، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، (1436هـ / 2015م).

20.سعيد إسماعيل علي، **الفكر التربوي الحديث**،عالم المعرفة، (1929 -1990م).

21.سمير عبده، **السوريون والحضارة السريانية**، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1998م.

22. .سيد هادي خسرو شاهي ، **الآثار الكاملة ج1 السيد جمال الدين الأفغاني الشيخ محمد عبده ، العروى الوثقى د ن ط ، مكتبة الشروق الدولية ، د ب ن ، د س.**

23. صلاح أحمد هريدي علي، **الجاليات الأوربية في الإسكندرية دراسة وثائقية من المحاكم الشرعية، (923 –1213 هـ / 1517-1797)**، ط 1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (1987 – 1988م)

24. عبد العزيز شرف، **الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة**،ط1، عالم الكتب ،القاهرة ، 1452هـ/2014م.

25. عبد الجليل جلبي، **الإرساليات لتبشرية**،د ط،منشأة المعارف، الإسكندرية،د س.

26. عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م.

27.عزيز سوريال عطية، **تاريخ المسيحية الشرقية**، تر، إسحاق عبيد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.

28. علي حسون، **تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية**، ط3، المكتبة الإسلامية،(1302هـ-1982م).

29. علي كامل حمزة كاظم السرحان، **خانات الحلة في العهد العثماني**، دراسة تاريخية، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، جامعة بابل، (1432هـ / 2011م).

30. الغالي غربي، **دراسات في التاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي،(1288_1916م)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون، الجزائر، 2007م.**

31.. فاطمة مصطفى عامر، **تاريخ أهل الذمة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي.** ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1999م.

32 .قاسم عبده قاسم، **اليهود في مصر**، ط1، دار الشروق، مصر، (1413هـ – 1993م).

33. قيس جواد العزاوي، **الدولة العثمانية، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط**، ط2، الدار العربية للعلوم، 2003.

34. القيكونت فليب دي طيرازي ، **تاريخ الصحافة العربية ج1**، المطبعة الأدبية،بيروت ،1913م.

35. كارين أرمسترونغ. **القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث**. تر. فاطمة نصر ومحمد عناني. الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية. 1998م.

36. لويس شيخو ، **تاريخ الآداب العربية**، د ن ط، د د ن ، دن س.ن.

37. ليلى صباغ، **الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنيين السادس عشر والسابع عشر– العاشر والحادي عشر الهجريين**، ج1،ج2، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1409هـ- 1989م

38. محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، در الفجر لتراث، 2004م.

39. محمد جميل جهيم، **أوليات سلاطين تركيا المدنية والسياسية**، دط، مطبعة العرفان، صيدا، (1350هـ / 1931م).

40. محمد حرب، **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار (1658– 1336هـ – 1846– 1918م)**، ط1، دار الق سليمان القوسي ،الشيخ **مصطفى صبري و موقفه من الفكر الوافد** ،ط1،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، 1418هـ /1998.لم، دمشق، (1410هـ – 1990م).

41. محمد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، (1434هـ – 2013م).

42. محمد محمد توفيق، **كمال أتاتورك**، د ط، دار الهلال، مصر، 1936م.

43. مصطفى حلمي ، **الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية**، دراسة حول كتاب " النكير على مذكري النعمة من الدين و الخلافة والأمة" ،ط، 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1420 هـ / 2004 م.

44. مصطفى خالدي و عمر فروخ، **التبشير و الاستعمار في البلاد العربية**،ط،3،المكتبة العصرية،بيروت، (1372هـ/1953م).

45. مظفر آلبايراق وآخرون، **سوريا في الوثائق العثمانية**، تر، صالح سعداوي. طباعة سجيل أوفست، استانبول، 2013م.

46. مؤلف مجهول، **مدن لها تاريخ**، سلسلة إصدارات الفلق الالكترونية /2.

47. هدى درويش، **العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648م إلى نهاية القرن العشرين**، ج1، ط1، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، دار القلم، دمشق، (1423هـ – 2002م.

48. يعقوب لاندوا، **تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية (1517–1914م)**، تر، احمد الرفاعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م.

49. يلماز أستونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، المجلد1،تر، عدنان محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988م.

50. يوسف إبراهيم، **تركيا والأرمن**، سلسلة ملفات تركية، ط1، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2001م.

❖ **المراجع الفرنسية :**

1. Anonyme, le régime des capitulations, s éd, Plon nourrit et librairie Plon, paris ,1898.

2. Gastont de monicault ,La question d'orient ,le trait, de paris (1856-1817), these doctorat paris,1896.
3. Gilles veintein, juifs et musulmans dans l'empire ottoman, s é s d.

❖ **المقالات:**

1. إيمان عبد الرحمان ،هياجنة حنان ملكاوي، **التبشير الكاثوليكي الفرنسي في ولاية الأناضول في القرن 19م النشاط التعليمي أنموذجا**، مجلة الدراسات للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلد 4،ملحق2 ، 2014.
2. بشرى محمود الزوبعي، **تطبيقات الدولة القومية في اوروبا**، د ط، مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، الجامعة المستنصرية، د س.
3. حسام الحفناوي، **الحلف العثماني الفرنسي وظهور الامتيازات في المنطقة**، د ط ،د د ن ،د،د س
4. خالد سلمان شدهان، **يهود الدونمة وعلاقتهم بالطورانية التركية في الدولة العثمانية**، م جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 18، ع 6، قسم التاريخ، جامعة تكريت، 2011م.
5. رائد سامي **الدوري معاهدة الامتيازات العثمانية الانجليزية لعام 1580م**، أسباب عقدها، بنودها، نتائجها، "دراسة تاريخية تحليلية "محلة المجلد، 4، العدد، جامعة تكريت، كلية التربية للبنات، قسم تاريخ، 1433هـ/ 2012م.
6. سنان صادق جواد، **يهود الدونمة نشأتهم وإثرهم في الدولة العثمانية حتى عام 1909**، مجلة ديالى، العدد 55 ،2012م.
7. عبد الرءوف سنو، **العلاقات الروسية العثمانية**، د ط، د د ن، د ب ن، د س.
8. علي المحافظة، **حركات الإصلاح و التجديد في الوطن العربي والتحديات التي تواجهه في مطلع القرن** 21م .، د ط،د دن، د س.
9. فاطمة سليم حماد الطروانة، **الدولة العثمانية وسياستها الدينية تجاه الطوائف النصرانية في القدس وموقف فرنسا منها بخاصة من واقع سجلات محكمة القدس الشرعية (1153 –**

1246هـ / 1740 – 1830م)، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم التربوية، جامعة البتراء، عمان، (1430هـ – 2009م.

10.فايز محمد حسين محمد ، **الشريعة والقانون في العصر العثماني**،كلية الحقوق جامعة الإسكندرية.

11 .مؤلف مجهول، **السلطان عبد الحميد الثاني 1876– 1909م**، د، ط، د ،د ن، د س، ص **وعلاقته بنظام الملل** ، جامعة الإسكندرية كلية الحقوق، 2.

12. مازون البودي، **القناصل في ظل الدولة العثمانية ودورهم في بلاد الشام (1247 – 1333هـ / 1831 – 1914م)**، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مج 37، ع 3، 2015م.

13.محمد أحمد، **الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني (1876–1918م)**، مجلة جامعة دمشق ، العدد 1و2 ، المجلد27، 2011م.

14. نجاة عبد الكريم، **وقفات مع محمد رشيد رضا (1860 – 1925م)**،ع 20، د م، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2011، ص، 20.

15. .هدى درويش، **الدولة العثمانية وتعاملها مع غير المسلمين**، د ط،د د ن، د س.

❖ **الرسائل الجامعية :**

1. أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، **الدولة العثمانية من خلال المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية**، ج1، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، في تاريخ الحديث، إشراف أميرة بنت علي مداح،كلية الشريعة للدراسات الإسلامية، قسم تاريخ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (2010م / 1431هـ).
2. بشير فايد ، **قضايا العرب في أثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير ارسلان**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف، عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية،قسم تاريخ و الآثار ،جامعة منتوري، قسنطينة، (1430.1431هـ/ 2009م2010م).

3. ماجد بن صالح المضيان، **أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الفترة من(926–1343.هـ/1520– 1924م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف، عبد الله بن عمر الدميجي و جميل عبد الله المصري، كلية الدعوة و أصول الدين ،قسم العقيدة ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 1416هـ/1990م.

4. عيسى مصطفى بوجار ،**محمد عاكف و جهوده في الدعوة الإسلامية** ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، في العقيدة ،إشراف الأستاذ الشيخ محمد قطب،كلية الدعوة وأصول الدين، قسم عقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1412هـ /1996م).

5. غانية بيعو، **التنظيمات العثمانية وأثارها على الولايات العربية الشام والعراق انموذجا** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ حديث ومعاصر، إشراف ، لغالي غربي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،قسم تاريخ حديث، جامعة الجزائر، (2008 – 2009م).

6. فاطمة الزهراء رحماني ، **الجامعة الإسلامية بين السيد جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني ، أواخر القرن 19م ومطلع القرن 20م** ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ حديث ومعاصر ، إشراف، نادية طرشون،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم تاريخ، جامعة المدية ، 2014_2015م.

7. فاطمة بوجلطي، **انعكاسات الامتيازات الأجنبية على بلاد الشام خلال القرن 19م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ الحديث ومعاصر، إشراف، الغالي غربي،كلية العلوم الأجتماعية والإنسانية،قسم، تاريخ، جامعة الجزائر 2، بوزريعة،(2010 /2011م).

8. فردوس بنت حافظ محمد جمال الدين، **دور السفراء العثمانيين و الفرنسيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، في تاريخ حديث ومعاصر، إشراف أميرة بنت علي وصيفي مداح، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية،قسم تاريخ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1434هـ_ 1435هـ / 2013- 2014 م).

9. منصور بن معاضة بن سعيد العمري، **الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية (1121_1220 هـ/1709 _1805م)**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، ، إشراف، يوسف

بن علي الثقفي،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم تاريخ وحضارة ،جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1431هـ/2010 م).

10.هيلة بنت سعد السليمي، **دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية**،مذكرة تخرج للحصول على الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف يوسف بن علي الثقفي، كلية الشريعة، قسم الدراسات العليا والتاريخية، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 2001م.

11.ياسر بن العزيز قاري، **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية**"،ج 1،ج2، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف يوسف بن على الثقفي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم دراسات العليا التاريخية و الحضارية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1422هـ /2001م).

❖ **الملتقيات:**

1. جوزيف ابر نهرا. **المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني**. المؤتمر الدولي. مركز الشرق المسيحي للبحوث والمنشورات CERPOC. جامعة القدس يوسف. 24-25 كانون الثاني. 2013.

❖ **الموسوعات :**

1. احمد مهدي محمد الشويخات ، **الموسوعة العربية العالمية**، ط 3،د د ن، المملكة العربية السعودية،(1425هـ /2004م). دس.
2. عبد الرؤوف عباس حامد ، **تطور الفكر العربي الحديث، موسوعة الثقافية التاريخية والأثرية والحضارية** ،تاريخ حديث ،كلية الآداب ، جامعة القاهرة، د ط، د د ن ، د س.
3. عبد الوهاب الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، د س.
4. علي مولى، الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال،ج1 ،ج4 ،ج5، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (1431هـ – 2010م).

❖ **المعاجم** :

الأعلام :

1. جرجي زيدان ، **تراجم المشاهير في القرن 19م، ج2**، د ط، هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر 2011.
2. خير الدين الزركلي **الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ،ج6**، ط5، دار العلم للملايين بيروت 2006م.

المصطلحات :

1. ابو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، **لسان العرب**، مج 14، دار المصادر، بيروت.
2. سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مر، عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (1421هـ / 2000م).
3. محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **قاموس المحيط**، ج4، دار الحديث، القاهرة، (1429هـ/2008م).

الفهرس

الـــفهـــرس

البسملة.

تشكرات.

الإهداء.

قائمة المختصرات.

مقدمة.....2

المبحث الأول:أصول الجالية الأجنبية في الدولة العثمانية.....10

المطلب الأول: مفهوم الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية 10

المطلب الثاني:طوائف الجالية الأجنبية.....13

I–طوائف اليهود.....13

II –الطوائف المسيحية.....17

المطلب الثالث: عوامل تواجد الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية..... 24

1–سياسة التسامح.....24

2–إنقاذ واستقبال الدولة العثمانية لليهود.....29

3–سياسة الامتيازات.....32

المبحث الثاني:مظاهر نشاط الجاليات الأجنبية في الدولة العثمانية.....40

المطلب الأول: النشاط الديني و الفكري.....40

I–النشاط الديني.....40

1– استحداث الكنائس والمعابد.....40

2– المناصب الدينية.....42

II–النشاط الفكري.....45

1– التعليم التبشيري(أنموذجا).....45

2– ثقافيا.....50

المطلب الثاني: النشاط الاجتماعي و الاقتصادي.....56

I–النشاط الاجتماعي 56

1– الأعياد والطقوس.....56

2– مقابر الجاليات.....59

3– الميراث.....60

4– الزواج.....60

5– اللباس.....60

6–القضاء.....61

II–النشاط الاقتصادي.....63

1– التجارة.....63

2 –الزراعة.....65

3 –الصناعات والحرف.....66

4– الضرائب.....69

المطلب الثالث:النشاط السياسي والإداري.....72

1– السلطات الإدارية للجاليات الأجنبية.....72

2–الوظائف المالية للجاليات الأجنبية.....74

المبحث الثالث: التواجد الأجنبي بين الآثار الايجابية و السلبية في الدولة العثمانية.....77

المطلب الأول: الآثار الايجابية للتواجد الأجنبي.....77

1–سياسيا.....77

2–اقتصاديا.....78

3–فكريا.....80

4–عسكريا.....81

المطلب الثاني:الآثار السلبية 83

1–سياسيا.....83

2–اقتصاديا.....93

3–فكريا.....95

المطلب الثالث: مواقف بعض العلماء من الأفكار الغربية.....100

خاتمة.....106

قائمة الملاحق.....111

قائمة المصادر والمراجع.....121

الفهرس.....133